شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الثالث عشر، السنة الثانية، جمادى الآخرة ١٤٣٢ - أيّار ٢٠١١

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 40 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية و إسلامية. وأوروبا و أمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ١٠٠ ل.س. - العراق: ٢٠٠٠ دينار - مصر: ٥ جنيه السودان: ٢٠٠ جنيه سوداني - المغرب: ٢٠ درهم - الجزائر: ٢٠ دينار - السعوديّة: ١٠ ريالات - تونس: ١،٥ دينار - اليمن: ٢٠٠ ريال - الأردن: ١ دينار - الإمارات: ١٠ دراهم- البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ ريالات - الكويت: ٧٥٠ فلس - عمان: ١ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

هاتف 01/544955 - 03/725246

ص.ب: 25/5141

الموقع: www.saraer.org/shaaer

بريد إلكتروني: shaaer@saraer.org

«شعائر» في عامها الثاني

هذا العدد هو العدد الأوّل من السنة الثانية لمجلّة «شعائر».

ترفع «هيئة التحرير» الشكر لله تعالى على توفيق خدمة «الشعائر» سنةً كاملة، مع طلب الصفح عن التقصير في النيّة والعمل، كما نتقدّم بالشكر الجزيل لكلِّ مَن شارك بمادّة أو اقتراح، أو نقد، ونطلب المزيد من المُؤازرة والدعاء بالتسديد وتخليص النيّة، ليكون العمل مُتقبَّلاً بأحسن القبول، وما ذلك على الله تعالى بعزيز.

«هيئة التحرير»

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة: الترغيب، والترهيب، والطائفيّة ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق : المدينة المنوّرة في عهد الرسول ..... تحقيق : أحمد الحسيني ٨

مراقبات: شهر جُمادى الآخرة ..... إعداد : «شعائر» ١٣

أحسن الحديث: البَداء.. في القرآن الكريم ..... الشيخ عبدالكريم آل نجف ١٦

سورة يوسف ..... من دروس «المركز الإسلامي» ١٩

أيام الله: مناسبات جُمادى الآخرة ..... إعداد : صافي رزق ٢١

وقال الرسول: الغضب ..... إعداد : محمد ناصر ٢٤

حدود الله: توحيد المرجعيّة ..... الشيخ عبد الهادي الفضلي ٢٥

يزكّيهم: التوبة إلى الله ..... إعداد : مازن حمّودي ٢٦

الملف: زينب الكبرى.. عالمة غير مُعلَّمة ٢٧

مَـوَدَّة ..... «شعائر» ٢٨

موجز السيرة ..... إعداد : الخرِّر الثقافي ٣٠

المهمّة والدور ..... إعداد : محمّد العبدالله ٣٣

قراءة في الخصائص ..... إبراهيم الرفيعي ٣٧

اليقين الزّينبي ..... نجيب حمدان ٤٢

لولا دعاؤكم: دُعاء «غرّة جُمادى الآخرة» ..... إعداد : «شعائر» ٤٣

صاحب الأمر: تأمّلات في دعاء العهد ..... المرجع الشيخ الخراساني ٤٤

تحقيق: المدينة المنوّرة في عهد الرسول

محتويات العدد

كتابا موقوتا: النَّوافل ..... الإمام كاشف الغطاء ٤٦

يذكرون: ذكر الله لا حدّ له ..... إعداد: عبد الله النابلسي ٤٧

حوارات: مع الخبير في الطاقة د. بسّام التّقي ..... حاوره: سليمان بيضون ٤٨

فكر و نظر: المنهج الوحدوي للشيخ كاشف الغطاء ..... الشيخ الساعدي ٥٢

لا عقلانية ما بعد الحداثة ..... د. جاد مقدسي ٥٥

أعلام: الفقيه الشهيد «الفَتّال النَّيْسابُوري» ..... إعداد: أكرم زيدان ٥٧

كلمة سواء: قواعد الحوار ..... الشيخ حبيب الكاظمي ٦١

وصايا: وصيَّة العلّامة الحلّي لولده ..... إعداد: علي حمود ٦٢

مرابطة: «الشعب يريد إنهاء الاحتلال» ..... كريم عبد الرحمن ٦٤

وثائق: حدّثني السيّد القاضي بعد وفاته ..... «شعائر» ٦٦

دوائر ثقافية: الفهرس: ٦٧

مواقف: الحريّة وتعدّد التعريفات ..... الشيخ مصباح اليزدي ٦٨

فرائد: حُسن الظنّ بالله تعالى ..... إعداد: أسرة التحرير ٦٩

قراءة في كتاب: «الإسلام في الأرجنتين» ..... قراءة: سلام ياسين ٧٠

بصائر: مقالة الزائر ..... محمود حيدر ٧٢

مفكرة: حِكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر ..... إعداد: جمال برّو ٧٤

مصطلحات: الهُدى والضلال ..... المرجع السيّد الحائري ٧٨

إصدارات: عربية / أجنبية / دوريات ..... ياسر حمادة ٧٩

أيها العزيز: العبادة تُوَلِّد الحركة والنشاط ..... الإمام الخميني قدس سره ٨٢

بسملة

الترغيب، والترهيب، والطائفيّة

■ الشيخ حسين كوراني

ثُلاثيّة الفراعنة في كلّ عصر. مَن لم يسقط بسلاح الترغيب، ثمّ الترهيب، فسلاحُ الطائفيّة الأشدّ فتكاً، بانتظاره.

والتراتُبيّة بين أسلحة الفراعنة الثلاثة هذه، هي في مجال الإستخدام، لا الإعداد، كتراتبيّة استخدام المُقاتل لعدّة أسلحةٍ يحملها.

الطائفيّة حاضرة في الترغيب والترهيب، وجاهزة، تنتظر عجزهما فتُنتضى وتُشهَر، ويبقى عرْضهما قائماً. أبواب المساومة مشرَعة في كلّ مراحل الصراع مع المقاومة.

في «منطق» «فنّ الممكن» أولويّةُ ارتفاع منسوب الترغيب والترهيب حين يُشهَر سلاح الطائفيّة، ليقنع بالتفاوض مَن لم تُسقِطه العروض المتدنّية.

في المراحل الأولى للتعامل بسلاحَي الترغيب والترهيب، يدفع المساوِم من جيبه، أي ممّا سرقه و صار في حيازته.

في مرحلة إشهار سلاح الطائفيّة يدفع «المساوم» من ثروات الطائفيّين، شباباً وعموم الجمهور، ونفطاً، ومالاً، وكرامةً، وقتلىً و دماء.

هذا هو اليوم عنوان مرحلة الأمّة، في صراعها مع فرعون الصهيو-أميركي.

**

يومَ حَطَّ في مطار باريس، شيخٌ ثمانينيّ، وتوجّه إلى ضاحية «نوفل لو شاتو»، كانت اتفاقيّة «كامب ديفيد» قد أُبرمت، وظنّ دهاقنة الصهيونيّة العالميّة، أنّهم دفنوا قضيّة فلسطين وإلى الأبد.

وتنفّس الصبح في طهران، فإذا الثورة الإيرانيّة إسلاميّةٌ بدْريّةٌ كربلائيّة: القدس النّبْضُ، وفلسطين الفؤاد، وكلّ السمع والبصر والوجدان.

زاد دهاقنةَ الصهيونيّة-الأميركيّة بَرَماً وحنقاً، أنّ عصب فلسطين في الرؤية الخمينيّة عالميّ. إنّه عنوان ثورة المستضعفين إلى أيِّ دينٍ انتمَوا ضدّ «مصّاصي الدماء» المستكبرين.

وكانت «الحرب المفروضة» التي لم ينطبق حساب حقلها الصهيوني على البيدر.

«الخير في ما وقع». كانت دورةً تدريبيّة للأمّة. لم يكن نصر تمّوز، ولا نصر غزّة، لِيَتحقّقا لولا تلك الحرب العالميّة على إيران الإسلام.

تَمكّن مسار «كامب ديفيد» من أن يحتوي المقاومة -آنذاك- بالترغيب والترهيب، ليَخلُص إلى قتل «عرفات» واستلام «محمود عباس» زمام التفاوض، وها هم يفكّرون باستبداله.

وتمكّن مسار «الشيخ الثمانيني» وخليفتِه «الإمام الخامنئي» المُسدّدَيْن، من دعم النّهج المقاوِم في سوريا ولبنان وفلسطين، فإذا «إسرائيل، الغُدّة السرطانيّة» محاصَرةٌ بين دمشق وغزّة ولبنان.

وكان العزاء للصهيو-الأميركي وجود «مصر مبارك»، الذي قال عنه الإمام الخميني في وصيّته «حسني اللّامبارك».

**

تفجّر البركان الشعبي المقموع منذ دخول «إلياهو بن أليسار» سفيراً للكيان الصهيوني إلى مصر.

كانت شرارة تونس -في عصر الفضائيّات- إيذاناً باكتمال الغلَيان. للحديث عن الثورات الشعبيّة العربيّة، سياقٌ آخر. إنّه سياق «فلسطيني».

حديث مصر مركزيّ. إفلاتُها من قبضة الأسر الصهيوني في هذا الزمن الخميني، يعني أنّ على اللّفيف اليهودي في فلسطين أن يبحث عن المخيّمات التي سيَتوزَّع عليها في أرجاء المعمورة.

اليهود بعد ثورة شعب مصر في خطر حقيقي. اكتمل الحصار.

تتابعت الثورات الشعبيّة بعد تونس ومصر. حكّام العرب العملاء مُهدّدون. التقى الخطران فأنتجا إشهار سلاح الطائفيّة.

بلغ الخطر أذيال التخلّف الأعرق، والإستبداد الأعتى، والإرتهان بلا رهن.

في صميم مصلحة الحكّام بلا أنظمة، إجهاض الثورات الشعبيّة بالطائفيّة.

وفي لُبِّ مصلحة الصهيو-أميركيّة، مواجهة المقاومة بالفِتَن الطائفيّة.

و«البحرين» التوقيت الأنسب. طبيعة المعارضة كطبيعة البلد الديموغرافيّة.

كانت مصر-وما تزال- كفيلة بِقلب السحر على الساحر. مصر معافاةٌ من مرض الطائفيّة، على العكس من «بلاد الشام». لا بدّ من استيراد العصب البغيض وتطعيم الشعب المصري به، فلعلَّ وعسى.

«هدْم قبور الأولياء» سلعة غير مجهولة المصدر، أُريدَ منها إغراق ثورة الشعب المصري كي لا يُحكَمَ الحصار على «إسرائيل» وحكّامها على العرب.

**

ما هو مآل الفتنة الطائفيّة المُدجّجة بالترهيب، المعزّزةِ برفع منسوب الترغيب، مدفوعاً من رصيد الأمّة؟

لنا أن نوقِن بالنصر المؤزَّر للأمّة والمستضعَفين، ونُوقن باندحار الصهيونيّة ودهاقنتها المُتستّرين بالطائفيّة.

قد تتعاظم الخسائر، إلّا أنّها لا تكاد تُذكر قياساً بما خسرناه في غير درب « ذات الشوكة» وعقودِ تضييع البوصلة في غالب محطّات ما بين ١٩٤٨ و٢٠٠٦م.

مَبعثُ اليقين-في خطّ الثقة بوعد الله ببسط العدل وإقامة الحقّ- ثلاثةُ عوامل تتماهى لترسم لوحة الأمل الباسم:

الأوّل: أنّ الصهيونيّة المأزومة هي التي أشعلت نار الطائفيّة. لم يخْفَ على الشعوب أنّ تَلاقي مصلحة الصهيونيّة ومصلحة أدواتها، يخطّط لِحَرْف مسار الثورات الشعبيّة لتَسقُط الأمّة والمستضعفون في مغالطة الإنشغال بذنب الأفعى، وننسى الرأس.

الثاني: تباشير واعدةٌ تتوالى -وإن ببطء- من أرض الكنانة، ومن الأزهر الشريف بالخصوص، أهمّها نبذ «إسرائيل» و«الطائفية».

الثالث: نضج الوعي الشعبي، ومساحة انتشاره الواسعة. راكمت التجارب خبرة الشعوب، ومكّنت الثورة المعلوماتيّة نشر هذا الوعي على أوسع نطاق، ممّا أفقد الإستبداد سلاح كمِّ الأفواه، وخنق الأمل في غياهب التعتيم.

اللاّفت أنّ هذا الوعي الجماهيري، يرتكز معظمُه على الثقافة الدينيّة الأصيلة، التي ترى في الثورة على الطواغيت واجباً دينيّاً هو شعيرة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». الذي به تُقام الفرائض، وتُعَظَّم «الشعائر».

تلازم الحراك الثوري مع «يوم الجمعة» والصلاة والدعاء، الأمر الذي يعزِّز الأمل بالمستقبل الواعد الذي ينتظر الأمّة والمستضعَفين.

المدينة المنوّرة في عهد الرسول

أوّل عاصمة لدولة التوحيد العالميّة

رسم للمسجد النبوي الشريف من القرن التاسع عشر

تحقيق: أحمد الحسيني

حين أصرّت مكّة بغالبيّتها على عبادة الأصنام، اختارت يثرب التوحيد والنبوّة. حباها الله تعالى بشرف الهجرة النبويّة، فكانت مهبطَ الوحي، وقاعدة الدولة المحمّديّة الإلهيّة. احتضنت ثاني الحرمَين، ومزار أشرف خلق الله تعالى، وبضعته سيّدة نساء العالمين، وأسباطه الأئمّة. الحسن المجتبى، والسجّاد، والباقر، والصادق، وصارت موطناً لسائر الأئمّة - النقباء الإثني عشر عليهم السلام.

ما يلي تحقيق حول المدينة المنوّرة من استقبال رسول الله إلى وفاته صلى الله عليه وآله.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدع مناسبة إلّا ويدعو الناس فيها إلى الإسلام، وكان يرى الفرصة مناسبة للدّعوة في موسم الحجّ، حيث تَفِد القبائل العربيّة إلى مكّة. ففي العام الحادي عشر من البعثة الشريفة، لقي النبيّ صلى الله عليه وآله وفداً من الخزرج في منطقة «العَقَبَة» في مكّة، يضمّ ستّة رجال، (ذكرت كتب السّيرة والتاريخ أسماءهم)، وعرض عليهم الإسلام، فأجابوه في ما دعاهم إليهم، ولا سيّما أنّهم سمعوا من اليهود أنّ نبيّاً سيظهر في أرض الحجاز.

وعندما عادوا إلى يثرب حدّثوا بما سمعوا، فآمن فريق من أهلها. في العام التالي، قدم مكّة اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب (ذكرت كتب السيرة والتاريخ أسماءهم) للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله في «العَقَبَة» في موسم الحجّ، وهناك بايعوه، فكانت أوّل بيعة إسلاميّة، وهذا نصّها:

«بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ليلة العقبة الأولى، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف».

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**فإن وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشّيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذّب وإن شاء غفر**».

عاد هؤلاء الرّجال إلى قومهم وأخذوا ينشرون الإسلام بين ظهرانيهم، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ أن يبعث لهم رجلاً يعلّمهم القرآن ويُفقّههم في الدّين، فأرسل إليهم «مصعب بن عُمير»، فتفانى هذا الصحابي في عمله، حتى لُقّب بالـمُقرىء.

بيعة العقبة الثّانية

أَتَت ثمار الذين أسلموا في يثرب أُكلَها، فازداد عدد المسلمين في تلك المدينة، ولمّا كان موسم الحجّ في العام الثالث عشر من المبعث، خرجت قافلة كبيرة من أهلها قوامها خمسمائة شخص، فيهم ثلاثة وسبعون مسلماً بينهم امرأتان (هما نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عديّ)، وقد ضُبطت أسماؤهم في كتب التاريخ والسيرة. ولـمّا وصلوا إلى مكّة، واعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيّام التشريق. فالتقاهم مع عمّه العبّاس بن عبد المطّلب الذي وصف، بدايةً، مقام النبيّ ﷺ ومنزلَتَه، وأخذ الوعد منهم على نصرته ومساندته، ثمّ تكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام ثمّ قال: «أُبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». فبايعوه، ووعدهم الرسول ﷺ أن يؤازرهم، فلا يتركهم ويعود إلى قومه إن مكّن الله له الدّين. كما وعدهم بالهجرة إليهم عندما تسنح الفرصة المؤاتية.

وطلب تعيين اثني عشر نقيباً منهم ليكونوا مسؤولين أمام قومهم، وكان النقباء الذين اختيروا لذلك تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوْس.

كانت هذه البَيعة بَيعة دفاع مشترك، وقد علمت بها قريش، فجنّ جنونها لأنّها كانت تعتقد أنّ أمر الإسلام قد خَفَت، وحاولت التصدّي لتلك البيعة عبر أَسْر اثنين من النّقباء هما: سعد بن عبادة الذي عُذّب بمكّة حتى أجاره جبير بن مطعم بن عديّ، والمنذر بن عمرو الذي أفلت منهم.

مؤامرة زعماء مكّة على النبيّ ﷺ

بعد ازدياد عدد المسلمين في يثرب، والحلف الذي عُقد بينهم وبين رسول الله ﷺ، اجتمعت قريش في دار النّدوة واستقرّ الرأي بعد المداولات على قتل النبيّ ﷺ، على أن تشترك جميع القبائل في قتله من خلال إشراك رجل من كلّ قبيلة لتلك الغاية. أخبر جبرئيل عليه السلام النبيّ ﷺ بالمكيدة، فكان الأمر بالهجرة، فخرج من مكّة، بعدما بات أمير المؤمنين عليه السلام في فراشه، وتُوضح كتب السيرة والتاريخ تفاصيل خروجه ﷺ.

الهجرة النبويّة إلى يثرب

كانت الهجرة النبويّة في العام الثالث عشر من المبعث الشريف في شهر ربيع الأوّل، وكان أوّل وصوله ﷺ إلى منطقة قباء القريبة من يثرب، ومكث هناك أيّاماً، فلمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام بالفواطم، قرّر الدخول إلى يثرب.

الموضع الذي تمّت فيه بيعة العقبة الثانية

الوصول إلى يثرب

ما إن أطلّ موكب النبيّ ﷺ حتى استُقبل بالأهازيج، وعندما وصل إلى يثرب، تمنّت كلّ جماعة أن ينزل عندها، وحاولوا اعتراض ناقته وإناختها، علّهم يفوزون بإقامته بينهم، لكنّه كان يقول لهم: «**خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة**». ولـمّا أُرخي زمامها، انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم، ولم يكن مسجداً، إنّما كان مربداً واسعاً ليتيمَين من بني النجّار من الخزرج هما سهل وسهيل ابنا رافع بن عمرو. وكان ذلك المكان بالقرب من منزل أبي أيّوب، خالد بن زيد (ت ٥٢هـ- ٦٧٢م)، فبادرت أمّ أبي أيّوب إلى رَحْل النبيّ ﷺ فحلّته وأدخلته منزلها، فلمّا أكثر القوم على الرسول ﷺ وتنازعوا في أخذه، قال لهم ﷺ: «**المرء مع رَحْله**». وبقي هناك حتى اكتمل بناء منزله قرب المسجد.

الخطوات الأولى في المدينة

***بناء المسجد:** طلب النبيّ ﷺ من أسعد بن زرارة أن يشتري المربد من أصحابه، فساوم اليتيمَين عليه، فقالا: هو لرسول الله ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «**لا إلاّ بثمن**»، فاشتراه بعشرة دنانير وكان في ذلك المربد ماء مستنقع، وقيل كان فيه مقبرة للمشركين. فأمر رسول الله ﷺ أن يُسال ويجفّف. ثمّ أمر بالحجارة فنُقلت من الحرّة، وهي أرض ذات حجارة سوداء كأنّها أحرقت بالنار، وقيل جيء بطوب اللّبن من بقيع «الخَبْخَبَة» الذي يقع على يسار

بقيع الغرقد عند بئر أبي أيوّب بالمناصع، و«الخَبْخَبة» شجرة كانت تنبت هناك.

وكان بناء المسجد في بادىء الأمر بـ«السميط» (وهو وضْع لبنة على لبنة)، وبادر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حمل اللّبِن ليُرغّب المسلمين في إعماره، فتعاون المهاجرون والأنصار على البناء، ودأبوا في العمل.

وكان المسجد مربّع الشكل تقريباً، كان طوله من المشرق إلى المغرب ٦٣ ذراعاً (الذّراع ٦٦ سنتم)، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٥٤ ذراعاً وثلثا ذراع. أمّا مساحته فألف وستّون متراً مربّعاً، وقد رُفع أساسه بالحجارة. وفي البدء لم يسقف أو يسطّح، إذ كانت أرضه مكشوفة، وكان ارتفاعه قامة.

* **الصُّفَّة**: وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُظلّل مكان في مؤخّرة المسجد، غرب ما يُعرف اليوم بدكّة الأغوات، إلى الجنوب قليلاً،

مدافن شهداء «بدر»

وليس لها حالياً أيّ علامة مميّزة. وسمّى ذلك المكان «الصُّفّة» أو «الظُّلّة»، وقد أعدّه لأبناء السّبيل والفقراء، والوافدين الذين لا مأوى لهم، كما أعدّه لنزول العزّاب من المهاجرين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتولّى تعليم هؤلاء القرآن وأحكام الدّين، كما تولّى أصحابه هذه المهمّة، فإذا وقعت غزوة ودُعي للجهاد، خرج القادر منهم للحرب.

وتفيد المصادر بأنّ عدد النّازلين في الصُّفّة كان يصل إلى أربعمائة شخص، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان دائم التواصل معهم، وكان يرسل إليهم طعامهم. وله صلى الله عليه وآله معهم دروس للأجيال وعبرٌ خالدة، وقد عُرف منهم صحابة طليعيّون وشهداء، كحارثة بن مالك (الشاب الذي كان يخفق برأسه في المسجد بعد صلاة الصبح، وسأله النبيّ عن يقينه، ثمّ استشهد بمؤتة) وكذلك جويبر، الأسود اللون، الأنصع بياض القلب، الذي بعثه النبيّ ليخطب بنت شيخ عشيرة بني بياضة.

كانت «الصُّفة» دار المهاجرين إلى الله ورسوله، والتأسيسَ للمدرسة المتكاملة مع مهمّة المسجد كمركز للتربية الإسلاميّة – الإنسانية العالميّة.

ثمّ زيد على مساحة المسجد شيئاً فشيئاً زمن الرّسول صلى الله عليه وآله وما بعده. وكان هذا المسجد موضع اجتماع المسلمين للتداول بأمور دينهم ودنياهم، ولإدارة شؤون الأمّة والفصل في النزاعات، ووَضْع الخطط العسكريّة، وقد أضحى ثاني المساجد قداسة بعد المسجد الحرام، وبتأسيسه كان التحوّل الكبير الذي عرفته أرض الحجاز، حتى وصل صوت الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، وفيه دُفِن سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله، والصلاة فيه تعادل ألف ركعة.

* **«الأنصار» الاسم الجديد للأوس والخزرج**: كان بين الأوس والخزرج عداوة قديمة غذّاها اليهود لسنواتٍ طوالٍ، وبعدما أسلم القسم الكبير منهم، رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يوحّدهم فيكونوا جماعة واحدة، وبذلك يذيب العداوة والبغضاء بينهم شيئاً فشيئاً، فأطلق عليهم اسم «الأنصار» لأنّهم نصروه وآووه، وكانوا خير عوْن له عندما ضيّقت عليه قبيلته في مكّة وحاربته وحاربت من أسلم معه أشدّ محاربة.

شكّل بروز جماعة الأنصار في المدينة المنوّرة مصدر قوّةً للمسلمين على المستوى الاقتصادي والسياسي والعسكري، في مقابل قوّة اليهود وتعاظم نفوذهم في هذه المدينة، كما شكّل تحدّياً لقريش التي دان لها العرب في مكّة.

* **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار**: استقبلت المدينة المنوّرة المهاجرين الذين وفدوا إليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، أو الذين هربوا بدينهم من أذى قريش. وعندما وصل هؤلاء، لم تكن أوضاعهم الاقتصاديّة بخير، لأنّهم تخلّوا عن كلّ شيء عندما التحقوا بإخوانهم المسلمين، فعمل النبيّ صلى الله عليه وآله على خطّين: الأوّل: تعزيز الوحدة والأُخوّة بين الوافدين والمقيمين، والثاني: تحصين الجبهة الداخليّة أمام مخاطر اليهود والمشركين في شبه الجزيرة العربيّة. فآخى بين أصحابه، على قاعدة المؤاخاة بين «الأشباه والنظائر» وقد آخى بين نفسه صلى الله عليه وآله، وبين الإمام عليّ عليه السلام، ويورد كتّاب السيرة –ومنهم ابن هشام في (السيرة النبويّة)– أسماء كلّ متآخيين. وبهذا التدبير خفّف صلى الله عليه وآله من وطأة الأزمة الاقتصاديّة التي قد تنشب جرّاء قدوم المهاجرين ومكوثهم في المدينة، كما ساعد في نشر المحبّة والإيثار، وفي تقوية شوكة المسلمين.

* **تغيير اسم يثرب**: غيّر النبيّ صلى الله عليه وآله اسم يثرب وسمّاها المدينة، ونهى النّاس عن استخدام اسمها القديم. ومع الأيّام أضحى

للمدينة المنوّرة أسماء وألقاب، وقد ذكرت الكتب المختصّة بتأريخها تسعةٌ وعشرين اسماً.

أمّا لقب المنوّرة، فيرجّح بعض الباحثين أنّ ذلك يعود إلى حديث أنس بن مالك: «لـمّا كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء من المدينة كلّ شيء». وقد شاع هذا الاسم وارتبط باسم المدينة رسمياً منذ العهد العثماني.

***معاهدة هدنة ودفاع بين المهاجرين والأنصار، ويهود المدينة:** رأى رسول الله ﷺ أن يعقد معاهدة تفاهم بين المهاجرين والأنصاروايهود في المدينة المنوّرة، وذلك لتحصين الجبهة الداخليّة أمام خطر الوثنيّين، ولتثبيت دعائم السلام بين أهل المدينة.

وتُعدّ هذه المعاهدة من أهمّ الوثائق السياسيّة، وقد حفظتها كتب التاريخ والسيرة وذكرت بنودها كاملة. وقد استوفى

جانب من سور «المدينة» القديم

الكلام حولها وشرح بنودها، الفقيه المحقّق المرحوم الشيخ علي الأحمدي في كتابه القيّم (مكاتيب الرسول).

بيد آنّ اليهود نقضوا تلك المعاهدة، فجنّدوا طاقاتهم الفكريّة والدينيّة لزعزعة إيمان الذين أسلموا، ثمّ تآمروا مع مشركي قريش في حربهم ضدّ المسلمين، وكذلك تآمروا مع منافقي المدينة الذين استتروا بالإسلام لتمرير مخطّطاتهم الهدّامة، وكان عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين وإليه يجتمعون، وهو الذي قال، كما أخبر القرآن الكريم: ﴿..لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ..﴾ المنافقون:٨ في غزوة بني المصطلق، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها. وقد حاول اليهود قتل النبيّ ﷺ والوقيعة بالمسلمين، فما كان منه إلّا أن أجلاهم، بعد سنوات قليلة، من المدينة إثرَ انكشاف مؤامراتهم، كما أمر النبيّ بهدم مسجد المنافقين «مسجد ضرار» في قباء، بعد غزوة تبوك، لأنّه بُني للتآمر على المسلمين.

***تحويل القبلة إلى الكعبة:** كان رسول الله ﷺ يصلّي إلى بيت المقدس مدّة مقامه بمكّة، وفي المدينة المنوّرة جرى تحويل القبلة إلى الكعبة، ولهذا التدبير دلالاته الدينيّة والسياسيّة، وهو ما أزعج اليهود الذين ظنّوا أن لا بديل عن بيت المقدس لقبلة الموحّدين.

المدينة منطلق الدعوة العالميّة والدفاع

كانت حرب بدر مفصلاً في تثبيت هيبة الدولة الفتيّة، التي أرادت قريش استئصالها، إلّا أنّ النصر كان حليف المسلمين، ما جعل موازين القوى تميل لمصلحتهم، ثمّ تتالت المواجهات، فاندكّت حصون خيبر، ثمّ كان فتح مكّة في العام الثامن الهجري، هذا الفتح الذي غيّر مجرى التاريخ، فبدأت الوثنيّة في شبه الجزيرة العربيّة بالانهيار، وأضحى الإسلام الدّين الجديد، وأخذت الوفود في ما بعد تُقبل على النبيّ ﷺ مُعلنةً إسلامها، وفي الوقت

مزرعة نخيل، ويبدو مسجد «قباء» في الخلفية

نفسه كان رسول الله ﷺ يرسل مبعوثيه إلى الملوك والقادة، العرب منهم وغير العرب، يدعوهم إلى الإسلام ويعرّفهم بالدّين الجديد، فممّن بعثهم على سبيل المثال: دُحية الكلبي، أرسله إلى قيصر الروم في القسطنطينيّة، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى الفرس، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس في مصر، وعمرو بن أُميّة الضميري إلى النجاشي في الحبشة، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني في الشام، وسليط بن عمرو إلى ملك اليمامة في اليمن هوذة بن عليّ.

المدينة المنوّرة، عاصمة الدولة الإسلاميّة

على الرّغم من فتح مكّة والظفر المبين فيها، إلّا أنّ رسول الله ﷺ آثر العودة إلى المدينة المنوّرة وجعلها عاصمة بلاد المسلمين، حيث أصبحت مقرّاً للنبيّ ﷺ، ومركزاً للجيش الإسلامي، فخسرت مكّة ثقلها السياسي الذي عرفته قريش في جاهليّتها،

وتحوّلت المدينة إلى عاصمة البلاد بالمفهوم الحديث، وبدأ العرب يعرفون الدولة ككيان سياسي موحّد بعدما كانوا قبائل متفرّقة في طول شبه الجزيرة العربيّة وعرضها.

اقتصاديّات المدينة

عندما بدأت الهجرة إلى المدينة، كانت الأحوال الاقتصاديّة بالمستوى الذي يحقّق الكفاية لأهلها، ولا شكّ في أنّ الزيادة المتسارعة لعدد السكان قد أثّرت على اقتصادها، خاصة وأنّ المهاجرين كانوا في الغالب من الفقراء بالأصل، أو أنّهم لم يستطيعوا إخراج أموالهم معهم. وقد استعلت الأخوّة الإسلاميّة على جميع الظروف الاقتصاديّة، فاستضاف الأنصار من أهل المدينة العائلات المهاجرة، وأشركوهم في دُورهم وأموالهم. وبقدر ما كان الأنصار باذلين لإخوانهم، كان تعفّف المهاجرين كبيراً، فلم يأخذوا إلّا قدر الحاجة، واجتهدوا في العمل والكسب في مجالَي الزراعة والتجارة.

أمّا الصناعة، فكانت مجالاتها محدودة، كصناعة الحدادة التي تُنتج السيوف والرماح والسكاكين وما شابه. كما نشطت في المدينة حياكة النسيج وصباغة بعض المنتجات، إضافة إلى المهن الأخرى مثل الجزارة والخرازة والسقاية.

وشكّلت التجارة عاملاً اقتصاديّاً نشطاً في المدينة، حيث ابتدأت في أوّل الأمر بتجارة الثياب داخل الأسواق، وامتدّت بعدها إلى تسيير قوافل تجاريّة إلى الشام واليمن.

وأخذت أمور المسلمين الاقتصاديّة في المدينة تتحسّن يوماً بعد يوم بفعل نظام خمس الغنائم والفيء، ونظام الزكاة، وتشجيع النبيّ صلى الله عليه وآله على زراعة الأرض واستصلاحها، ومساعدة الفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل. وازدهرت الحركة التجاريّة فيها بعدما استتبّ الأمن في البلاد.

السكان والعمران

أحدثت الهجرة تغيّراً جذريّاً في المدينة من حيث السكّان والعمران. فقد تضاعفت سكّاناً ومساكنَ عدّة أضعاف، وظهرت كتلة المسجد النبوي وما حولها من المساكن، فصارت مركز المدينة وقلبها، ولم تعد الامتدادات العمرانيّة تتّجه نحو الأطراف، بل راحت تصل المناطق البعيدة بكتلة المسجد النبوي، وتستفيد من الأراضي الخالية بينها.

حجّة الوداع

في السّنة العاشرة للهجرة، حجّ النبيّ صلى الله عليه وآله حجّة الوداع، فاستنفر المسلمين من نواحي المدينة للحجّ معه، وخرج في حوالي مائة ألف من المسلمين، وفي موسم الحجّ نزل عليه الوحي: ﴿..بَلِّغْ

باب «جبرئيل» ـ الحرم النبوي الشريف

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ..﴾ المائدة:٦٧، وفي طريق العودة من الحجّ، وعند الوصول إلى مفترق الطرق حيث سيبقى مع النبيّ من جاء معه من المدينة، ويتفرّق الباقون، أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالنزول في منطقة «غدير خُمّ» وهي قريبة جداً من ميقات «الجحفة» الذي يتوجّه إليه الحجّاج من «جدّة» ليعقدوا إحرامهم فيه.

لم يشأ صلى الله عليه وآله أن يدَعَ الدولة الفتيّة من دون راعٍ من بعده، لذلك أمر صلى الله عليه وآله بتهيئة المكان والمنبر، فنصّب أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام بأمر إلهيّ خليفة من بعده، أمام مرأى الحشود ومَسمعهم.

ويُجمع المسلمون على خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في غدير خم، وعلى أنّه صلى الله عليه وآله قال: «**من كنت مولاه..**» إلخ، إلّا أنّ تسييس النص جعل الكثيرين يقفون عند تفسير كلمة «مولى» بالرغم من الإجماع على أنّ ذلك الحشد من الصحابة قد هنّأ أمير المؤمنين بالولاية، وقد قال له «الخليفة الثاني»: «بخٍ بخٍ لك يا عليّ، فلقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة».

وفاة النبيّ

بعد حجّة الوداع بثلاثة أشهر، أي في السنة الحادية عشرة للهجرة، كانت الفجيعة الأعظم بوفاة سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله، ورغم الإنقلاب على الأعقاب الذي أخبر به وحذّر منه القرآن الكريم، ورغم الروح القبليّة التي كانت ما تزال مستشرية في مَن لم يحسُن إسلامهم ممّن «مردوا على النفاق»، فقد حفظ الله تعالى الذِّكر، واستمرّت مسيرة التوحيد، وانتشر نور الإسلام في الخافقَين.

مراقبات جُمادى الآخرة

أبرزها: زيارة الصدّيقة الكبرى، وصلاة جُمادى المشهورة

إعداد: «شعائر»

* جُمادَى الآخرة، بضمّ الجيم، وفتح الدال، وقِصَر آخره، الشهر السادس من أشهر السّنة الهجريّة.
* في اليوم الثالث منه، سنة إحدى عشرة للهجرة، كانت شهادة الصدّيقة الكبرى السيّدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليهما وآلهما، وفي العشرين منه سنة خمس للبعثة كانت ولادتها عليها السلام. ومن أبرز أعماله، زيارتها في يومَي مولدها وشهادتها صلوات الله عليها.
* ومن أعماله التي ورد الحثُّ عليها، صلاةُ أربع ركعات، في أيّ يوم من أيّامه، روي أنّ بعض ثوابها أنْ يُصان مُصلّيها في كلّ ما يعنيه، إلى مثلها في السّنة القادمة، وهي صلاة ينتظرها العارفون بها ويهتمّون بنشرها بين المؤمنين فهي تأمين إلهي سنوي.

الدعاء في غرّة الشهر

أَللّهمّ يا أَللهُ أنتَ الدائمُ القائمُ، يا أَللهُ أنتَ الحيُّ القيّومُ، يا أَللهُ أنتَ العليُّ الأعلى. .(أُنظر باب «لولا دعاؤكم»، ص ٤٣).

صلاة جمادى الآخرة
في أيّ وقت من الشهر

تصلّي أربع ركعات (بتَسليمتين):

١- تقرأ الحمد في الأولى مرّة، وآية الكرسي مرّة، وسورة (إنّا أنزلناه) خمساً وعشرين مرّة.

٢- وفي الثانية الحمد مرّة، وسورة (ألهاكم التكاثر) مرّة، و(قل هو الله أحد) خمساً وعشرين مرة.

٣- وفي الثالثة الحمد مرّة، و(قل يا أيها الكافرون) مرّة، و(قل أعوذ برب الفلق) خمساً وعشرين مرّة.

٤- وفي الرابعة الحمد مرّة، و(إذا جاء نصر الله والفتح) مرّة، و(قل أعوذ برب الناس) خمساً وعشرين مرّة.

فإذا سلّمت فقل:

أ- سبحان الله والحمد لله ولا إلهَ إلّا الله والله أكبر. (سبعين مرّة).

ب- وصلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله (سبعين مرّة).

ت- ثمّ قُل (ثلاث مرات): «أللّهمَّ اغفِر للمؤمنين والمؤمنات». ثمّ تسجد وتقول في سجودك (ثلاث مرات): «يا حيُّ يا قيّومُ يا ذا الجلالِ والإكرامِ. يا الله يا رحمنُ يا رحيمُ يا أرحمَ الراحمينَ».

ث- ثمّ تسأل الله تعالى حاجتك.

ج- مَن فعل ذلك فإنّه:

* تُصان نفسُه وماله وأهله وولده ودينه ودنياه إلى مثلها من السنة القابلة.
* وإن مات في تلك السنة مات على الشهادة.

كان أحد العلماء في النجف الأشرف قديماً، يكتب هذه الصلاة في نُسخ كثيرة ويوزِّعها على المؤمنين لينالوا بركتها.

اليوم الثالث

المراقبات: وفي اليوم الثالث منه اتّفق وفاة سيدة النساء صلوات الله عليها، بل الصحيح أنّه يوم شهادتها فإنّها -صلوات الله عليها- مضت مقتولة مظلومة مغصوبة حقّها، فعلى شيعتها من أهل الوفاء أن يقدّروا هذا اليوم من أيام الأحزان والمصائب. فإنّ يومها كان ثاني اثنين ليوم رسول الله ﷺ على أهلها، لم يُرَ لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاة رسول الله ﷺ يوم أشدّ مصيبة وأجلّ رزءاً وأعظم نائبة منه، واشتدّ عليه شأن هذا اليوم حيث أظهر فيه أمراً عظيماً من المواجد والأحزان وجعل يرثيها، ويندب عليها، ويشتكي فراقها، ويقول:

نفسي على زفراتها محبوسةٌ يا ليتها خرجت مع الزفراتِ
لا خير بعدك في الحياة وإنّما أبكي مخافة أن تطول حيـاتي.

ولعمري إنّ هذه الأشعار وما طوينا (عن) ذكره، من شعره ونثره في ذلك أمرٌ عظيم من أمير المؤمنين عليه السلام يُبهر العقول ويكشف عن عظم مقامها وفضلها عند الله. "..." فكيف كان، فَلِشيعته -صلوات الله عليه- التأسّي به في إظهار الحزن والكآبة، وإقامة المأتم في يوم وفاتها، وقراءة مصائبها، فإنّها واحدة أبيها ﷺ، وحبيبته التي كان يعاملها كما لا يُعامل مع أحد من الناس.

* وقد أورد الشيخ عباس القمّي قدّس سرّه في كتابه (مفاتيح الجنان) صلاة وزيارة للسيّدة الزهراء عليها السلام في يوم شهادتها، (الباب الثاني – الفصل العاشر)، أوّلها «السلام عليكِ يا سيّدة نساء العالمين ...» وروى أنّ من زارها -صلوات الله عليها- بهذه الزيارة واستغفر الله تعالى غفر الله له وأدخله الجنّة.

اليوم العشرون: ولادة الزهراء عليها السلام

إقبال الأعمال: إعلم أنّ يوم ولادة سيدتنا الزهراء البتول ابنةِ أفضلِ رسول صلوات الله عليه وآله، وهو يوم عظيم الشأن من أعظم أيام أهل الإسلام والإيمان، وذلك لأمور: منها: أنّ نسب رسول الله ﷺ انقطع إلّا منها. ومنها: أنّ أئمّة المسلمين والدعوة إلى ربّ العالمين من ذريّتها، وصادر عن مقدَّس ولادتها. ومنها: أنّها أفضل من كلّ امرأة كانت أو تكون في الوجود، وهذا فضل عظيم السعود. ومنها: أنّها المُزَوّجة في السماء، والمُختَصّة بالطهارة والمباهلة، وهي المختارة من سائر النساء. ومنها: أنّها المشرَّفة بنزول المائدة عليها من السماء وهذا مقام عظيم من مقامات الأنبياء.

زيارة الزهراء صلوات الله عليها

السلامُ عليكِ يا بنتَ رسول الله، السلام عليكِ يا بنتَ نبيِّ الله، السلامُ عليكِ يا بنتَ حبيب الله، السلامُ عليكِ يا بنتَ خليل الله، السلامُ عليكِ يا بنتَ أمين الله، السلامُ عليكِ يا بنتَ خير خَلق الله، السلامُ عليكِ يا بنتَ أفضل أنبياء الله.
السلامُ عليكِ يا بنتَ خير البريّة، السلامُ عليكِ يا سيِّدةَ نساء العالَمينَ من الأوّلينَ والآخرينَ. السلامُ عليكِ يا زوجةَ وليِّ الله وخير خَلقه بعد رسول الله، السلامُ عليكِ يا أمَّ الحَسَن والحُسَيْن سيّدَي شباب أهل الجَنَّة، السلامُ عليكِ يا أمَّ المؤمنينَ.
السلامُ عليكِ يا أيَّتُها الصدِّيقَةُ الشهيدةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها الرَّضيَّةُ المرضيَّةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها الصادقَةُ الرشيدَةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها الفاضلَةُ الزَّكيَّةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها الحَوْراءُ الإنسيّةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها التقيَّةُ النقيّةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها المُحَدَّثَةُ العَليمَةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها المعصومةُ المظلومةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها الطاهرةُ المُطَهَّرَةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها المُضطَهَدَةُ المَغصوبَةُ، السلامُ عليكِ أيَّتُها الغَرَّاءُ الزهراءُ، السلامُ عليكِ يا فاطمةُ بنتُ مُحمَّد رَسول الله ورحمةُ الله وبركاتُه.
صلّى اللهُ عليكِ يا مَولاتي وابنةَ مولايَ وعلى روحِكِ وبَدَنِكِ. أشهدُ أنَّكِ مَضَيْتِ على بَيِّنةٍ من رَبِّكِ، وأنّ مَن سَرَّكِ فقد سَرَّ

رَسُولَ الله، ومَن جَفاكِ فقد جَفا رسولَ الله ﷺ، ومن آذاكِ فقد آذى رسولَ الله، ومَن وَصَلَكِ فقد وَصَلَ رَسولَ الله، ومَن قَطَعَكِ فقد قَطَعَ رَسولَ الله، لأنَّكِ بِضْعَةٌ منهُ وروحُهُ التي بين جنبَيْه، كما قال عليه وآله أفضلُ الصلاة وأكملُ السلام.

أشهدُ اللهَ وملائكتَه أنّي راضٍ عمَّن رَضيتِ عنه، وساخطٌ على مَن سَخطْتِ عليه، وليٌّ لِمَن والاكِ، عدوٌّ لِمن عاداكِ وحربٌ لِمَن حاربَكِ، أنا يا مولاتي بِكِ وبأبيكِ وبَعْلِكِ والأئمَّة من وُلْدِكِ مُوقِنٌ، وبولايتهم مُؤمنٌ، وبطاعتهم مُلتزمٌ.

أشهدُ أنّ الدينَ دينُهُم، والحُكمَ حُكمُهُم، وأنَّهم قد بلَّغوا عن الله عزَّ وجلَّ ودَعوا إلى سبيلِ الله بالحِكمةِ والمَوْعظةِ الحَسَنة، لا تأخُذُهُم في الله لَوْمَةُ لائم، وصلواتُ الله عليكِ وعلى أبيكِ وبعلكِ وذريّتكِ الأئمّة الطاهرين.

أللّهمَّ صلِّ على محمّدٍ وأهلِ بيتِه، وصلِّ على البتول الطاهرة، الصدِّيقة المَعْصومَة، التقيَّة النقيَّة، الرضيّة المَرْضيّة، الزكيَّة الرشيدَة، المَظلومَة المَقهورَة، المَغصوبة حقَّها، المَمْنوعة إرثها، المكسورة ضلعُها، المظلوم بعلُها، المقتول ولدُها، فاطمةَ بنت رَسولِ الله، وبِضْعةِ لحمِه وصميمِ قلبِه، وفَلْذَةِ كبدِه، والنُّخبةِ منكَ له والتُّحفة، خَصَصْتَ بها وصيَّه وحبيبَه المصطفى وقرينَه المرتضى، وسيِّدةِ النساء، ومُبشِّرةِ الأولياء، حليفةِ الوَرَعِ والزُّهدِ، وتفاحةِ الفِرْدَوْسِ والخُلدِ، التي شَرَّفْتَ مَوْلِدَها بِنساءِ الجنّة، وسَلَلْتَ منها أنوارَ الأئمّة، وأرْخَيْتَ دُونَها حِجابَ النُّبوَّة.

أللّهمَّ صلِّ عليها صلاةً تزيدُ في محلِّها عندَكَ، وشَرَفِها لديكَ ومنزلتِها من رِضاكَ، وبَلِّغها منَّا تَحيّةً وسلاماً، وآتِنا من لَدُنْكَ في حُبِّها فَضْلاً وإحساناً ورَحمةً وغفراناً، إنَّكَ ذو الفضلِ الكريم.

* ثمّ تصلّي صلاة الزيارة وإن استطعت أن تصلّي صلاتها عليها السلام، فافعل، وهي ركعتان تقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة وقل هو الله أحد (ستّين مرّة). فإن لم تستطع فصلِّ ركعتين بالحمد وسورة الإخلاص، والحمد و(قل يا أيها الكافرون)، فإذا سلّمت قلت:

أللّهمَّ إنّي أتوجّهُ إليكَ بنبيِّنا محمّدٍ وبأهلِ بيتِه صَلواتُكَ عليهم، وأسألُكَ بحقِّكَ العظيمِ عليهِمْ، الذي لا يَعلمُ كُنْهَهُ سِواكَ، وأسألُكَ بحقِّ مَن حَقُّهُ عندكَ عظيمٌ، وبأسمائكَ الحُسنى التي أمَرْتَني أن أدعُوَكَ بها، وأسألُكَ باسمكَ الأعظمِ الذي أمَرْتَ به إبراهيمَ أنْ يدعُوَ به الطيْرَ فأجابَتْهُ، وباسمكَ العظيمِ الذي قُلتَ للنارِ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فكانت بَرْداً، وبأحبِّ الأسماءِ إليكَ وأشرفِها وأعظمِها لديكَ، وأسرَعِها إجابةً وأنجحِها طَلِبَةً، وبما أنتَ أهلُهُ ومُستَحقُّهُ ومُسْتَوْجِبُهُ، وأتوسَّلُ إليكَ وأرغبُ إليكَ وأتضرَّعُ إليكَ وألُحُّ عليكَ وأسألُكَ بكُتُبِكَ التي أنزلْتَها على أنبيائكَ ورُسُلكَ صلواتُكَ عليهم، من التوراةِ والإنجيلِ والزبورِ والقرآنِ العظيم، فإنَّ فيها اسمَكَ الأعظَمَ، وبما فيها من أسمائكَ العُظمى، أنْ تُصلّيَ على مُحمّدٍ وآلِ مُحمّدٍ وأنْ تُفرِّجَ عن مُحمّدٍ وآلِ مُحمّدٍ وشيعتِهم ومُحبِّيهم وعنّي، وتفتحَ أبوابَ السماءِ لِدُعائي وترفعَهُ في عليِّين، وتأذنَ في هذا اليوم وفي هذه الساعة بفَرجي وإعطائي أمَلي وسُؤْلي في الدنيا والآخرة.

يا مَن لا يَعلمُ أحدٌ كيفَ هُوَ وقُدرتُهُ إلّا هُوَ، يا مَن سدَّ الهواءَ بالسماء، وكَبَسَ الأرضَ على الماء، واختارَ لنفسِه أحسنَ الأسماء، يا مَن سمَّى نفسَهُ بالاسمِ الذي تُقضَى به حاجةُ مَن يَدعوهُ. أسألُكَ بحقِّ ذلك الاسمِ فلا شفيعَ أقوى لي منه، أن تُصلّيَ على مُحمّدٍ وآلِ مُحمّدٍ وتَقضي لي حوائجي وتَسمعَ بمحمّدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليٍّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليِّ بن موسى، ومحمّد بن عليٍّ، وعليِّ بن محمّد، والحسن بن عليٍّ، والحُجّة المُنتظر لإذنك، صلواتُكَ وسلامُكَ ورحمَتُكَ وبركاتُكَ عليهم صوتي، ليشفعوا لي إليكَ وتُشفِّعُهُم فيَّ، ولا تَرُدَّني خائباً، بحقِّ لا إلهَ إلّا أنتَ.

وتسأل حوائجك تُقضى إن شاء الله تعالى.

مثارٌ للجدل بين المتكلمين

البَداء.. في القرآن الكريم

الشيخ عبدالكريم آل نجف

البَداء في اللّغة يعني الظهور بعد الخفاء، ويُستعمل في المحاورات العرفيّة في موارد تبدّل الآراء والأفكار والأغراض والأهداف والمقاصد، فيُقال: «كان رأيه كذا ثمّ بدا له فيه»، وواضح أنّ البداء بهذا المعنى يستبطن جهلاً سابقاً وعلماً مستحدثاً، وكلاهما مَنفيّان عن الله تعالى، لأنّ علمه الله عزّ وجلّ ذاتي غير مسبوق بجهل.

ويُعتبر موضوع البَداء من جملة المسائل الكلاميّة التوحيديّة التي ثار حولها بحث واسع النطاق بين علماء الكلام، وذلك لِما ينطوي عليه من نكات دقيقة وحسّاسة.

إذا دقّقنا في البَداء بمعناه اللّغوي، من حيث هو الظهور بعد الخفاء، وتبدّل الآراء والمقاصد، لَوَجدناه مُركّباً من عنصرين:

١ ـ جهل سابق وعلم لاحق.

٢ ـ تبدّل في الرأي والأغراض والأهداف تبعاً للعلم اللّاحق.

وهنا يُطرح التساؤل التالي: أيّ من العنصرين يتنافى مع التوحيد، الأوّل أم الثاني أم كلاهما؟

وهل بالإمكان التفكيك بينهما بحيث نؤمن بنوع من التبدّل والتغيّر لا يكون ناشئاً من جهل سابق وعلم لاحق؟

بخصوص العنصر الأوّل: نلاحظ ببداهة أنّه يتنافى مع التوحيد، وليس هناك مُسلم يقبل بنسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى، ولا نحتاج إلى سرد آيات وروايات في ذلك.

أمّا بخصوص العنصر الثاني: فإنّ كان التبدّل لازماً ذاتيّاً لوجود الجهل السابق وطروء العلم اللّاحق، فهو في هذه الحالة يتنافى مع التوحيد أيضاً، فكما أنّ الجهل يتنافى معه، كذلك يتنافى معه كلّ تبديل وتغيير يكون بسببه. وإنْ كان التبدّل ليس لازماً لذلك ولا ناشئاً منه، وإنّما ناشئ من عوامل أُخرى، فهو في هذه الحالة لا يتنافى مع التوحيد .

فتبدّل الرأي والنظر -مثلاً- من اللّوازم الذاتيّة لظهور العلم واضمحلال الجهل، ولذا فكما لا يُمكن نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى، كذلك لا يُمكن نسبة التبدّل في الرأي والنظر إليه تعالى. بل إنّ مفهوم الرأي والنظر في نفسه لا يمكن نسبتُه إلى الله سبحانه، فضلاً عن تبدّله وتغيّره؛ لأنّ هذا المفهوم متقوّم بالمعنى الحصولي الاكتسابي للعلم، وعلم الله ليس حصوليّاً اكتسابيّاً حتى يقال هذا نظر الله ورأيه، وإنّما هو علم ذاتي متقوّم بذاته.

وبعد اتّضاح الجواب عن هذين السؤالين، نحاول أن نلقي نظرة في القرآن الكريم لنرى هل توجد فيه آية نَسبت إلى الله سبحانه التغيير والتبديل في أمر من الأمور، أو جانب من الجوانب؟

هناك مَن يُبادر إلى الإجابة عن ذلك بسرعة، قائلاً بأنّ القرآن الكريم قد نفى كلّ تغيير وتبديل عن الله سبحانه وتعالى، وذلك طبقاً لقوله تعالى: ﴿.. وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ فاطر:٤٣، وقوله تعالى: ﴿.. وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ الأحزاب:٦٢ .

غير أنّ هذا الجواب ليس كافياً، لأنّ الحقيقة القرآنيّة أمرٌ مُستفادٌ من القرآن كلّه، وما كان مُستفاداً من جانب معيّن فقط منه لا يُمثّل إلّا نصف الحقيقة القرآنيّة، وهذا الجواب يعبّر عن نصف الحقيقة لأنّه مُستفاد من جانب واحد من القرآن الكريم، وهناك جانب آخر منه نسب التغيير والتبديل إلى الله سبحانه وتعالى، مثل قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الرعد:٣٩، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ..﴾ الرعد:١١.

فالآية الاولى تدلُّ على أنّ الله يمحو ويُثبِت، وفي ذلك كناية

عن التغيير والتبديل، أمّا الآية الثانية فقد صرّحت بأنّ الله يغيّر حال الناس إذا ما غيَّر الناس ما بأنفسهم. فالواقع الاقتصادي والسياسي للناس، عبارة عن تقديرات ربانيّة قابلة للتغيير، إذا ما قرّر الناس تغيير واقعهم النفسي والثقافي، من الشرك إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهداية. فهناك تقديران، تقدير ربّاني لحالة الناس في الطاعة، وتقدير ربّاني لحالتهم في المعصية، فإن اختاروا الطاعة أجرى لهم التقدير الأوّل، وإن اختاروا المعصية أجرى عليهم التقدير الثاني، ومن هذا القبيل ما دلّ من الآيات والروايات على تأثير بعض الأعمال في الرزق والآجال والابتلاءات.

البَداء لُغةً واصطلاحاً

هذا ممّا لا يخالف فيه أحد من المسلمين؛ وإنّما نشأ الخلاف في مفهوم البداء عندما أُخذ بمعناه اللّغوي المتنافي مع التوحيد، وسينتفي الخلاف عند الالتفات إلى أنّ المراد به معنى اصطلاحي لا يلزم منه نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى، فالمُراد بالبداء عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو: «إنّ الله سبحانه يُقدِّر لعبده تقديراً طبقاً لمقتضىً معيّن، ثمّ يبدّل الله تقديره طبقاً لمقتضىً جديد يظهر في العبد نتيجة عمل معيّن يقوم به، مع علمه السابق في كِلا الأمرين والحالين»، ولو أنّ المُعترضين اطّلعوا على هذا المعنى لعلموا أنّه ممّا اتّفق المسلمون عليه، فالنزاع في الأمر لفظي فقط، وصدق العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين، إذ يقول: «فالنزاع في هذه المسألة بيننا وبين أهل السنّة لفظي»، ثمّ يقول: «فإن أصرّ غيرنا على هذا النزاع اللّفظي وأبى التجوّز باطلاق البداء على ما قلناه، فنحن نازلون على حُكمه، فليُبدِّل لفظ البداء بما يشاء وليتّقِ الله ربّه في أخيه المؤمن».

وقبله كتب الشيخ المفيد يقول: «أمّا إطلاق لفظ البداء، فإنّما صرتُ إليه بالسمع الوارد عن الوسائط بين العباد وبين الله عزّ وجلّ، ولو لم يَرِد به سمعٌ أعلمُ صحّته لما استجزتُ إطلاقه، كما أنّه لو لم يرد عليَّ سمع بأن الله يغضب ويرضى ويحبّ ويعجب، لما أطلقت ذلك عليه سبحانه، ولكنّه لمّا جاء السمع به، صرتُ إليه على المعاني التي لا تأباها العقول، وليس بيني وبين كافّة المسلمين في هذا الباب خلاف، وإنّما خالف مَن خالفهم في اللّفظ دونما سواه. وقد أوضحت من علّتي في إطلاقه بما يقصر معه الكلام، وهذا مذهب الإماميّة بأسرها، وكلّ مَن فارقها في المذهب ينكره على ما وصفت من الاسم دون المعنى ولا يرضاه».

وقبله قال الإمام الصادق عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الرعد:٣٩: «**فكلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلّا وقد كان في علمه، إنّ الله لا يبدو له من جهل**». **وقال عليه السلام أيضاً**: «**مَن زعم أنّ الله عزّ وجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس، فابرؤوا منه**».

ثمّ إنّ عمدة أدلّة الإماميّة في مسألة البداء أمور ثلاثة هي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الرعد:٣٩، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ الرحمن:٢٩.

٢ ـ البداء مشابهٌ لمسألة النسخ في التشريع، حيث قالوا بأنّ النسخ في التكوين كالنسخ في التشريع، والبَداء نسخ تكويني، والنسخ بَداء تشريعي، وكما أثبت المسلمون النسخ في التشريع، مثل مسألة تغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة الشريفة، ولم يخالف منهم في ذلك أحد، ولم يعتبر أحد منهم ذلك مخالفاً لعلمه الأزلي سبحانه وتعالى، ولا مستلزماً لثبوت جهل سابق، كذلك البداء تغيير في الأحكام الكونيّة من دون أن يلزم منها جهل سابق، ولا مخالفة لعلمه الأزلي سبحانه وتعالى، فإنْ أَشكل أحد على البداء فإنّ إشكاله يقع على النسخ، وما يذكر من الجواب في باب النسخ يمكننا إيراده بتمامه في باب البداء، بلا أدنى فرق بين الأمرين، والإشكال على البداء إنّما هو تكرارٌ لِمَا أشكل به اليهود على النسخ في التشريع، حيث إنّهم يرون بطلان ذلك، وعدم إمكان نسبته إلى الله سبحانه وتعالى، كما أنّ إجابة علماء المسلمين على هذا الإشكال، وإثباتهم لإمكان النسخ في التشريع من دون لزوم خلل منه في الساحة الربوبيّة المقدّسة، قابلة للانطباق على باب النسخ في عالم التكوين والتدبير.

٣ ـ تأثير الأعمال في مصائر الإنسان، وهذه حقيقة قرآنية مؤكّدة، إضافة إلى ما في السنّة النبويّة من تأكيد متواتر عليها، وهي أنّ أعمال الإنسان من الإيمان والشرك والطاعة والمعصية، أو برّ الوالدين وعقوقهما والانفاق على الفقراء والإمساك عن ذلك، وصلة الرحم وقطيعتها، ... إلخ، مؤثّرة في الرزق والبركة وطول العمر والسعادة، وهذه الأمور ذكرها القرآن الكريم مراراً، وأيّدتها السنّة النبويّة تكراراً، وقد لخّصها القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴾ الرعد:١١، والذي يُنكر البداء لا بدّ وأن يعرف

أنّ إنكاره ينجرّ إلى إنكار مثل هذه الحقيقة الواضحة، فإنْ كان يؤمن بها، فليعلم أنّ هذا الذي يؤمن به هو الذي تُسمّيه الإماميّة بالبداء.

الدور العقائدي والتربوي البنّاء للبداء

اتّضح ممّا سبق أنّ البداء معنى قرآني متداول لدى المسلمين جميعاً، وأنّ الإماميّة لا يمتازون على سائر المسلمين إلّا في التسمية التي يُفهم منها خطأً نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى، وقد اتّضح عدم صحّة هذه النسبة.

يهمّنا الآن أن نطرح جانباً آخر من البحث، وهو أهميّة فكرة البداء بالنسبة إلى عقيدة الإنسان المسلم، فإنّ الأفكار توزن بأُسسها العلميّة وأدلّتها المنطقيّة تارة، وبجدواها وثمرتها من جهة أخرى. وفي موضوع البداء قد يقال على وجه الاستفهام، إذا كان الجعلُ الأوّل لن يأخذ دوره إلى الواقع، بل سينتهي إلى الإلغاء، فما الفائدة من الإخبار عنه؟ وما هي الثمرة المُترتّبة على الاعتقاد بالبداء حينئذٍ؟

والجواب: أنّ الاعتقاد بالبداء ينطوي على أهميّة فائقة من جهتين: جهة عقائديّة وجهة تربويّة.

أمّا الجهة العقائديّة: فيكفينا فيها كلام العلّامة المجلسي، حيث كتب يقول: «إنّهم عليهم السلام إنّما بالغوا في البداء ردّاً على اليهود الذين يقولون: إنّ الله قد فرغ من الأمر ومن النظام، وعلى بعض المعتزلة الذين يقولون إنّ الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن، من معادن ونبات وحيوان وإنسان، ولم يتقدّم خلق آدم على خلق أولاده، والتقدّم إنّما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها. وإنّما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكيّة، والقائلين بأنّ الله تعالى لم يؤثّر حقيقة إلّا في العقل الأوّل، فهم يعزلونه تعالى عن مُلكه، وينسبون الحوادث إليها لا إلى الباري عزّ وجلّ».

بمعنى أنّ تأكيد الأئمّة عليهم السلام على البداء، جاء لإبطال كلّ فكرة تجعل قدرة الله ومشيئته سبحانه وتعالى محدودة بحدٍّ معيّن، وإثبات أنّها حقيقة مطلقة من كلّ الجهات، حتى من جهة القدر الذي يقدّره الله سبحانه وتعالى بنفسه في عالم التكوين والخلقة والتدبير والربوبيّة، وأنّ تقدير الله سبحانه وتعالى لهذه الأقدار لا يجعله مسلوب الإرادة والاختيار إزاءها.

كما أنّ البداء جاء للتأكيد على اختيار الإنسان وإرادته من خلال بيان أنّ القدر الإلهي فيه لوح محفوظ لا يقبل التغيير، ولوح آخر هو لوح المحو والإثبات الذي قد قدّره الله سبحانه وتعالى منذ البدء قابلاً للتغيير، تبعاً لما يقوم به الإنسان من أعمال في دار الدنيا.

وكأنّ عقيدة البداء جاءت تكملة لعقيدة القضاء والقدر، فَلِكَي يُدفع الغلوّ والإفراط في عقيدة القضاء والقدر، ولا تؤخذ بمعنى يسلب الاختيار عن الله سبحانه وتعالى وعن الإنسان، كان لا بدّ من تتميمها بعقيدة البداء، التي جاءت لتؤكّد أنّ القدر لا يصل حدّ سلب الاختيار عن الله، ولا سلب الاختيار عن الإنسان.

ومن الجهة التربويّة: نلاحظ أنّ عقيدة البداء ذات أثر تربوي بنّاء في حياة الإنسان، وقد بيّن العلّامة المجلسي هذا الأثر في تتمّة كلامه السابق عن أسباب تأكيد الأئمّة عليهم السلام على البداء، حيث ذكر أوّلاً الفائدة العقائديّة التي ذكرناها، وعطف عليها بذكر الفائدة التربويّة: «فنفوا عليهم السلام ذلك، وأثبتوا أنّه تعالى كلّ يوم في شأن من إعدام وإحداث آخر، وإماتة شخص وإحياء آخر، إلى غير ذلك، لئلّا يترك العباد التضرّع إلى الله ومسألته وطاعته، والقرب إليه بما يصلح أمور دنياهم وعقباهم، وليرجوا عند التصدّق على الفقراء، وصلة الأرحام، وبرّ الوالدين والمعروف والإحسان ما وُعدوا عليها من طول العمر وزيادة الرزق».

ومن هذه الجهة تكون عقيدة البداء مساوقة في إيجابيّتها لعقيدة التوبة وشروط قبولها عند الله، فكما أنّ للتوبة أثراً إيجابيّاً في بناء الإنسان، ومن جهة غلق منافذ اليأس والقنوط، وفتح أبواب الأمل والرجاء، وخلق روحيّة التغيير والاستعداد للصلاح، كذلك للبداء هذا الأثر في حياة الإنسان، بل البداء لازم من لوازم التوبة وأمثالها من الأعمال، فإنّ من لوازم التوبة أن يعتقد التائب بأنّ قلم الله سبحانه وتعالى لم يجفّ بعد في لوح المحو والإثبات، فله سبحانه أن يمحو ما يشاء ويُثبت ما يشاء، فليست مشيئته سبحانه جزافيّة غير تابعة لضابطة حكيمة، بل لو تاب العبد وعمل بالفرائض وتمسّك بالعِصَم، خرج من صفوف الأشقياء ودخل في عداد السعداء، وبالعكس.

وفي إطار ذلك كلّه، نستطيع أن نفهم معنى كلام الأئمّة عليهم السلام بأنّه: «**ما عُبِد الله بشيء مثل البداء**»، «**وما عُظّم الله عزّ وجلّ بمثل البداء**»، «**ما بعث الله نبيّاً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبوديّة، وخلع الأنداد، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء**».

موجزٌ في التعريف بالسُّوَر

سورة يوسف

سورة يوسف مكيّة وهي مائة وإحدى عشرة آية، ولم يرد في سوَر القرآن الكريم تفصيلُ قصّة من القصص باستقصائها من أوّلها إلى آخرها غير قصّة يوسف عليه السلام، وقد خُصّت السورة بها وحدها دون سواها من قصص أنبياء الله تعالى.

تتابع «شعائر» عرض ما ورد في أمّهات التفاسير حول هذه السورة المباركة.

«نور الثقلين»: عن أبي الحسن (الإمام الكاظم) عليه السلام قال: «إنّ الأحلام لم تكن فيما مضى في أوّل الخلق وإنّما حدثت، فقلت [الراوي]: وما العلّة في ذلك؟ فقال: إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إنْ فعلنا ذلك فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكْثَرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرة، فقال: إنْ أطعتموني أدخلكم الله الجنّة وإنْ عصيتم أدخلكم الله النار، فقالوا: وما الجنّة والنار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم، فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال: إنّ الله عزّ ذكرُه أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإن بَلِيَت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تُبعث الأبدان».

خبرُ يوسف عليه السلام

* عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام: «..كان من خبر يوسف عليه السلام أنّه كان له أحد عشر أخاً، وكان له من أمّه أخٌ واحد يُسمّى بنيامين. وكان يعقوب -إسرائيل الله، أي خالص الله- بن إسحاق نبيّ الله بن إبراهيم خليل الله، فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين، فقصّها على أبيه، فقال يعقوب: ﴿..يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ يوسف:٥».

* عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: «لمّا طرح أخوة يوسف، يوسفَ في الجبّ أتاه جبرئيل عليه السلام فدخل عليه فقال: يا غلام ما تصنع هَهنا؟ فقال: إنّ أخوتي ألقوني في الجبّ، قال: فتُحبُّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله عزّ وجلّ، إنْ شاء أخرجني، فقال له: إنّ الله يقول لك: أُدعُني بهذا الدعاء حتى أُخرجك من الجبّ، فقال له: وما الدعاء؟ قال: قُل: أللّهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت المنّان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والاكرام أن تصلّي على محمّدٍ وآل محمّدٍ وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً...».

وفي رواية أخرى، بعد فرجاً ومخرجاً: «وارزُقني من حيث أَحْتَسِب ومن حيث لا أحتسب».

* عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ..﴾ يوسف:١٨، قال: «إنّهم ذبحوا جدياً على قميصه».

* عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: «كان في قميص يوسف ثلاث آيات في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ..﴾ يوسف:١٨، وقوله تعالى: ﴿..إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ..﴾ يوسف:٢٦، وقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا..﴾ يوسف:٩٣».

* في (عيون أخبار الرضا) في باب مجلسه عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به عليّ بن الجهم في عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: «وأمّا قوله في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا..﴾ يوسف:٢٤، فإنّها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لِعظَم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ﴿..كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ..﴾ يوسف:٢٤ يعني القتل والزنا.

غَرَض السورة

«الميزان في تفسير القرآن»: غرض السورة بيان ولاية الله لعبده الذي أخلص إيمانه له تعالى إخلاصاً، وامتلأ بمحبّته تعالى لا يبتغي له بدلاً، ولم يَلْوِ إلى غيره تعالى من شيء، وأنّ

الله تعالى يتولّى هو أمره، فيربّيه أحسن تربية، فيُورده موردَ القُرب، ويسقيه فيرويه من مشرعة الزلفى، فيُخلِصُه لنفسه ويُحييه حياة إلهيّة، وإن كانت الأسبابُ الظاهرة أجمعت على هلاكه، ويرفعه وإن توفّرت الحوادث على ضِعته، ويُعزُّه وإن دعت النوائب ورزايا الدهر إلى ذِلّته وحطِّ قدره، وقد بيّن تعالى ذلك بسرد قصة يوسف الصدِّيق عليه السلام.

كلُّ هَلَكَة.. سبيلٌ إلى الكمال

لقد كان يوسف عليه السلام عبداً مخلصاً في عبوديّته، فأخلصه الله لنفسه وأعزّه بعزّته، وقد تجمّعت الأسباب على إذلاله وَضِعَتِه، فكلّما ألقته في أحد المهالك أحياه الله تعالى من السبيل نفسه الذي كان يسوقه إلى الهلاكة. حَسَده إخوته فألقوه في غيابة الجبّ، ثمّ شروه بثمن بخس دراهم معدودة، فذهب به ذلك إلى مصر وأدخله في بيت المُلك والعزّة. راودته التي هو في بيتها عن نفسه واتّهمته عند العزيز، لكنّها لم تلبث دون أن اعترفت عند النسوة ببراءته، ثمّ اتّهمته وأدخلته السجن، فكان ذلك سبب قربه عند الملك. وكان قميصه الملطّخ بالدم الذي جاؤوا به إلى أبيه يعقوب أوّل يوم هو السبب الوحيد في ذهاب بصره، فصار قميصه بعينه وقد أرسله بيد أخوته من مصر إلى أبيه آخر يوم، هو السبب في عود بصره إليه، وعلى هذا القياس.

وبالجملة كلّما نازعه شيء من الأسباب المخالفة أو اعترضه في طريق كماله، جعل الله تعالى ذلك هو السبب في رُشد أمره ونجاح طَلِبَته. ولم يزل سبحانه يحوِّله من حال إلى حال حتى آتاه الحُكم والمُلك، واجتباه وعلّمه من تأويل الأحاديث، وأتمّ نعمته عليه كما وعده أبوه.

ثواب قراءة سورة يوسف عليه السلام

*عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علّموا أَرِقّاءَكم سورة يوسف، فإنّه أيُّما مُسلمٍ تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينُه، هوّن الله تعالى عليه سكرات الموت، وأعطاه القوّة أن لا يحسد مسلماً**».

*عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قرأ سورة يوسف عليه السلام في كلّ يوم أو في كلّ ليلة، بعثه الله يوم القيامة وجماله على جمال يوسف عليه السلام، ولا يُصيبه يوم القيامة ما يصيب الناس من الفزع، وكان جيرانه من عباد الله الصالحين. ثمّ قال: إنّ يوسف كان من عباد الله الصالحين وأُوْمِن في الدنيا أن يكون زانياً أو فحّاشاً**».

من دروس «المركز الإسلامي»

أبطال القيم الفاضلة

القرآن معجزٌ في جميع أبعاده، لأنّ الأبطال الذين يقدّمهم في قصصه أبطال حقيقيّون لا خياليّون، وكلّ واحد في نفسه منهم مُنعدم النظير: فإبراهيم عليه السلام: البطل الذي حطّم الأصنام بروحه العالية التي لا تقبل المساومة مع الطغاة. ونوح عليه السلام: بطل الصبر والاستقامة والشَفقة والقلب المُحترق في ذلك العمر الطويل المبارك. وموسى عليه السلام: البطل المربِّي لقومه اللّجوجين، والذي وقف بوجه فرعون المتكبّر الطاغي. ويوسف عليه السلام: بطل الورع والتقوى والطهارة أمام امرأة محتالة جميلة عاشقة.

«الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل»

مناسبات شهر جُمادى الآخرة

إعداد: صافي رزق

٣/ج٢/١١ هجريّة

شهادة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام على رواية أنّها عاشت ثلاثة أشهر بعد أبيها صلى الله عليه وآله.

١٧/ج٢

زواج والدَي رسول الله صلى الله عليه وآله، عبدالله بن عبد المطّلب وآمنة بنت وهب عليهما السلام.

٦/ج٢/١٣٣٦ هجريّة

اندلاع ثورة النجف الأشرف ضد الاحتلال البريطاني (١٩٢٠م).

٢٠/ج٢/٥ بعد البعثة

ولادة الصدّيقة الكبرى عليها السلام في مكّة المكرّمة.

٨/ج٢/١٠ هجريّة

نزول جبرائيل عليه السلام بآية التطهير، وهي الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

٢٤/ج٢/٧ هجريّة

غزوة ذات السلاسل، ونزول سورة العاديات.

١٣/ج٢/٦٤ هجريّة

وفاة السيّدة أمّ البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، والدة أبي الفضل العباس عليه السلام.

٢٧/ج٢/٢٥٤ هجريّة

شهادة الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليهما السلام (على رواية).

أبرز مناسبات جُمادى الآخرة

في ما يلي، أبرز مناسبات شهر جمادى الآخرة؛ ذكرى شهادة الصدّيقة الكبرى صلوات الله عليها في اليوم الثالث، وذكرى ولادتها يوم العشرين منه، وشهادة الإمام عليّ الهادي على رواية في اليوم السابع والعشرين، ومناسبات أُخَر تمّت الإشارة إليها تذكيراً بأيّام الله تعالى.

اليوم الثالث/ اليوم العشرون
الصدّيقة الكبرى السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

* عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: **سلامُ الله عليك يا أبا الرّيحانَتَين، أُوصيك بِريحانتيّ من الدنيا، فَعَنْ قليلٍ يَنْهَدُّ رُكناك، واللهُ خليفتي عليك**. فلمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليٌّ عليه السلام: هذا أَحَدُ رُكْنَيَّ الذي قال لي رسول الله. فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال عليٌّ عليه السلام: **هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله** صلى الله عليه وآله».

* روى السيد ابن طاوس بسنده عن الصدّيقة الكُبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها أنّها سألت أباها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: «**يا أبتاه! ما لِمَن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة، مَن تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره. فأمّا اللواتي تُصيبه في دار الدنيا: فالأُولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزّ وجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكلُّ عملٍ يعملُه لا يُؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظٌّ في دعاء الصالحين. وأمّا اللواتي تُصيبه عند موته: فأوّلهنّ أنّه يموت ذليلاً، والثانية يموت جايعاً، والثالثة يموت عطشاناً، فلو سُقي من أنهار الدنيا لم يُروَ عطشُه. وأمّا اللواتي تُصيبه في قبره: فأوّلهن يوكّل الله به ملَكاً يُزعجُه في قبره، والثانية يُضيَّق عليه قبرُه، والثالثة تكون الظُلمة في قبره. وأمّا اللواتي تُصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأوّلهن أنْ يوكّل الله به ملكاً يسحبُه على وجهه والخلايق ينظرون إليه، والثانية يُحاسَب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يُزكّيه وله عذابٌ أليم**».

اليوم السابع والعشرون
شهادة الإمام الهادي عليه السلام

في كتابه (مآثر الإنافة في معالم الخلافة) بعد ذكره لأحوال المتوكّل العبّاسي في بُغضه لأمير المؤمنين عليه السلام يقول القلقشندي: «..ومن غريب ما اتّفق له -للمتوكّل- في ذلك، أنّه طلب علياً الزكيّ، ويُقال عليّ الهادي، وعليّ التقيّ، أحد الأئمّة الإثني عشر [عليهم السلام]، وبعث إليه جماعة من الترك ليُحضروه، فهجموا عليه ببيته، فوجدوه في بيت مُغلَق، وعليه مِدرعةُ شعر وهو مستقبل القبلة، يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلّا الرمل والحصى، فحُمل إلى المتوكّل، والمتوكّل في مجلس شرابه والكأسُ في يده، فلما رآه المتوكّل أعظمه وأجلسه إلى جانبه "..." وقال: أنشدني شعراً. فقال [عليه السلام]: إنّي لَقَليل الرواية للشعر، فقال: لا بدّ من ذلك. فَأنشده:

باتـوا على قلل الأجبال تحرسهـم ... غُلْبُ الـرجـال فـما أغنتهـم القللُ
فـاستُنزلوا بعد عزٍّ مـن معاقلهـم ... وأُودعـوا حفـراً يا بئـس ما نَـزلوا
نـاداهمُ صـارخٌ من بعد ما قُبِروا ... أيـن الأسـرَّةُ والتيجـانُ والحـلـلُ
أيـن الـوجـوه التي كانت منعّمةً ... مـن دونها تُضرب الأستـار والكللُ
فَأَفصحَ القبرُ عنهم حين ساءَلَهم ... تـلك الـوجـوه عليها الـدود يقتتلُ
يـا طالما أكـلوا دهـراً وما شربـوا ... فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أُكلوا.

فبكى المتوكّل، وأمر برفع الشراب».

اليوم الرابع والعشرون

غزوة ذات السلاسل

عن الإمام الصادق عليه السلام: «..**وسُمِّيت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنّه أسر منهم، وقتل وسبى، وشدّ أسراهم في الحبال مُكتّفين، كأنّهم في السلاسل. ولمّا نزلت السورة** [العاديات]، **خرج رسول الله** صلى الله عليه وآله **إلى الناس، فصلّى بهم الغداة، وقرأ فيها** ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ..﴾. **فلمّا فرغ من صلاته، قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها؟ فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **نعم إنّ عليّاً ظفر بأعداء الله، وبشّرني بذلك جبرائيل** عليه السلام **في هذه الليلة. فَقَدِمَ عليٌّ** عليه السلام **بعد أيّام بالغنائم والأسارى**».

اليوم الثامن

آيــة الـتـطـهـير

عن أمّ سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وآله: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فدعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وجاء جبرئيل عليه السلام فمدّ [رسول الله صلى الله عليه وآله] عليهم كساءً فَدَكيّاً، ثم قال: **أللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، أللّهمّ أَذْهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**. قال جبرئيل: وأنا منكم يا محمد؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **وأنت منّا يا جبرئيل**. قالت أمّ سلمة: فقلت: يا رسول الله، وأنا من أهل بيتك، وجئتُ لأدخل معهم. فقال صلى الله عليه وآله: **كُوني مكانكِ يا أمّ سلمة، إنّك إلى خير، أنت من أزواج نبيّ الله**. فقال جبرئيل: إقرأ يا محمد: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب:٣٣، في النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام».

اليوم السابع عشر

عبد الله بن عبد المطّلب عليه السلام

في (بحار الانوار) للعلّامة المجلسي رحمه الله ما ملخّصه: أنّ أحباراً من اليهود اجتمعوا في الشام يتكلّمون في أمر النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله واقتراب زمان خروجه في مكّة، وعزموا على الحؤول دون ولادته، فجاؤوا الى مكّة بهيئة التجّار يبحثون عن طلبهم، حتى كان يومٌ رأوا فيه عبدالله مع أبيه عبد المطّلب ووجهه كأنّه البدر المنير، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الذي نطلبه. ثم عمدوا إلى مراقبته حتى علموا أنّه قد خرج الى جبال مكّة وحيداً، فلحقوا به يريدون قتله، فرماهم بالنبل وقتل أفراداً منهم، فما زالوا به يلاحقونه وهو يشاغلهم حتى حضر فتيانٌ من بني هاشم فاستنقذوه منهم.

اليوم الثالث عشر

السيّدة الجليلة أم البنين

نقل السيّد عبد الرزّاق المقرّم في كتابه (العبّاس عليه السلام) عن (مجموعة الشهيد الأوّل): «وكانت أمّ البنين من النساء الفاضلات العارفات بحقّ أهل البيت، مخلصة في ولائهم، مُمحضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحلّ الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزّيها بأولادها، كما كانت تزورها أيّام العيد».

الغضب

جمرةٌ من الشيطان، تُفسد الإيمان

إعداد: محمد ناصر

الغضب مفسدَةٌ للإيمان، ومفتاح الكبائر من الموبقات، وإباحةٌ للنفْس أمام وساوس الشيطان الرّجيم، وبالإقلاع عنه يُتّقى غضبُ الله تعالى، ويُرجى انتصاره عزّوجلّ لِمَن ظُلِم فأُغضِب.

رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاه رجل فقال: يا رسول الله علّمني كلمات أعيش بهنّ، ولا تكثر عليّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تغضب».

* «ليس الشديد بالشديد الصُّرَعَة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

* «الغضب يُفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل».

الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان تتوقّد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه».

* ذُكِر الغضب عنده عليه السلام فقال: «إنّ الرجل لَيَغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيّما رجل غضب على قوم وهو قائم فَلْيَجلس من فوره ذلك، فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان. [و] أيّما رجل غضب على ذي رَحِمٍ فليَدْنُ منه فليمسّه، فإنّ الرحم إذا مُسَّت سكنت. وكفُّه وتركُه موجبٌ لأجرٍ عظيم».

* «في ما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى عليه السلام: يا موسى، أَمسِك غضبك عمَّن ملَّكتُك عليه، أكفّ عنك غضبي».

الإمام الصادق عليه السلام: «سمعت أبي عليه السلام يقول: أتى رسولَ الله صلى الله عليه وآله رجلٌ بَدَويٌّ فقال: إنّي أسكن البادية فعلّمني جوامع الكلام، فقال: آمرك أن لا تغضب، فأعاد عليه الإعرابي المسألة ثلاث مرّات، حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا بالخير. وكان أبي [الإمام الباقر] يقول: أيّ شيء أشدّ من الغضب، إنّ الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرّم الله ويقذف المحصنة».

* «إنّ في التوراة مكتوباً: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيما أمحق، وإذا ظُلِمت بمَظلمة فارضَ بانتصاري لك، فإنّ انتصاري لك خيرٌ من انتصارك لنفسك».

الإمام الرضا عليه السلام: «أنّ رجلاً سأله فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، علِّمني ما يجمع لي خير الدنيا والآخرة، ولا تطوِّل عليّ، فقال: لا تغضب».

قال العلماء

القوة الغضبيّة التي هي مبدأ أغلب الشرور والبلايا تتولّد منها المعاصي الكبيرة، والمفاسد، والجرائم، وقتل النفوس، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وهدم الدُور إلى غير ذلك من الجرائم الكبيرة التي ربّما تكون [من القُبح بحيث] لا يقدر الإنسان على سُماعها، وتقشعرّ من ذكرها الأبدان.

وبالتوبة والرجوع إلى الله تعالى يُزيل التائب عن قلبه هذه الرذائل، ويُطهِّرها من الأرجاس والأدناس، فيصير القلب سليماً عن تلك الأمراض والآفات، ويكون الإنسان داخلاً في المُستثنى في الآية الشريفة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء:٨٨-٨٩.

(القواعد الفقهيّة، السيّد البجنوردي)

رأي آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي

ماذا لو توحّدتْ مرجعيّة التقليد والقيادة؟

لا يعني توحيد المرجعية، نفي تعدّد الفقهاء، ولا التقليل من وجوب احترام جميع من توفّرت فيهم شروط الفقاهة وجواز التقليد، بل يعني أنّ حُسن انتظام أمر الأمّة، يقتضي جمع كلمة الفقهاء على تقديم الفقيه الذي تُوفّر قيادته للأمّة أفضل خصائص القيادة الحكيمة.

في ما يلي تقدّم «شعائر» حول توحيد المرجعيّة، رأي أحد كبار الفقهاء من بقيّة السلف الصالح، سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي دام ظلّه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإنّ الالتزام بنظريّة الأعلم في التقليد من حيث العمل والتطبيق فيها شيء غير قليل من الوقوع في العُسر والحَرَج للإختلاف في مفهوم الأعلم، وشبه استحالة المقارنة بين جميع المجتهدين المتعاصرين لتعيين مَن هو الأعلم، وتعارض البيّنات دائماً من غير وجود مرجّح في تحديد من هو الأعلم.

كما أنّ السيرة العمليّة التي كان عليها أتباع أهل البيت في الرجوع إلى الفقهاء الذين كانوا في عصرهم، والذين أمر وأرشد أئمّتُنا الأطهار عليهم السلام بالرجوع إليهم كانوا يتفاوتون في مستوياتهم العلميّة، كذلك ما في روايات التقليد من شموليّة للأعلم وغيره، مثل: «**فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مُخالفاً لهواه، مُطيعاً لأمر مولاه، فللعوامّ أن يقلّدوه**»، «**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حُجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم**»، ممّا يستفاد منه جواز تقليد المفضول مع وجود مَن هو أفضل منه. كلّ هذا يُسلمنا إلى أنّ تقليد الأعلم إنْ تيسّر الوصول إلى معرفته وتحديده -وهذا غير متيسّر- هو من باب الأَوْلى وليس واجباً.

وفي ضوء هذا، علينا أن نبحث عن الأصلح لتولّي منصب المرجعيّة، تلبيةً لمتطلّبات حياتنا المعاصرة الضروريّة والملحّة، والأصلح -هنا- هو مَن لديه المؤهّلات الإداريّة والقياديّة، ويتمتّع بنظرة مُستوعبة لأبعاد حياة الناس وأوضاعهم، ويتحلّى بالأصالة والاستقلاليّة والعمق في الاستنباط.

وهذه المواصفات من خلال اطّلاعي على كتابات آية الله العظمى السيّد الخامنائي -مُدَّ في عمره الشريف- الإستدلاليّة، وفتاواه العمليّة، ومواقفه الإسلاميّة العامّة، متمثّلة في شخصيّته المباركة، لهذا دعوت إلى تقليده وإلى العمل على توحيد المرجعيّة القياديّة في شخصه الكريم؛ ذلك لأنّ اختياره للمُهمّة يحقّق لنا الخروج من عهدة المسؤوليّة أمام الله تعالى، كما يحقّق لنا الوفاء لأمّتنا الإسلاميّة العظيمة.

أسأله سبحانه أن يوفّق الجميع لما يُحبّ ويرضى، إنّه وليّ التوفيق، وهو الغاية.

عبد الهادي الفضلي

١٤٢٠/٨/٢٥ للهجرة

من خلال اطّلاعي على كتابات آية الله العظمى السيّد الخامنائي -مُدّ في عمره الشريف- الإستدلاليّة، وفتاواه العمليّة، ومواقفه الإسلاميّة العامّة، متمثّلة في شخصيّته المباركة، لهذا دعوت إلى تقليده وإلى العمل على توحيد المرجعيّة القياديّة في شخصه الكريم؛ ذلك لأنّ اختياره للمهمّة يحقّق لنا الخروج من عهدة المسؤوليّة أمام الله تعالى، كما يحقّق لنا الوفاء لأمّتنا الإسلاميّة العظيمة.

التوبة إلى الله

مواردها وشروطها ومعانيها

إعداد: مازن حمّودي

التوبة هي باب الأوبة إلى الله تعالى، وهي بعدُ تركُ المعاصي في الحال، والعزمُ على تركها في المستقبل، وتدارك ما ارتُكب منها. والتوبة مراتب، فمرّةً تكون من ذنوب الجوارح، وثانيةً من رذائل النفْس، وثالثةً من الغفلة عن ذكر الله جلّ جلالُه.

ما يلي قبسات من كتاب (تذكرة المتّقين) للعالم العارف الشيخ محمّد البهاري الهمداني، رحمه الله.

إعلم أنّ التوبة من المعصية أوّل طريق السالكين إلى الله، ورأسمال الفائزين، ومفتاح استقامة المريدين، وأصل النجاة، وبالتوبة تُجتَنب المهالك، وقد وردت الآيات والأخبار الصحيحة بفضلها. ويكفي قوله جلّ شأنه: ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ..﴾ البقرة:٢٢٢، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**التّائب من الذّنب كَمَنْ لا ذنب له**».

والمعنى الفقهيُّ للتوبة هو: **تركُ المعاصي في الحال، والعزم على تركها في المستقبل، وتدارك ما كان ارتكبه، ونشر بساط الوفاء،** وتُطلق التوبة أيضاً على مُطلَق الندم.

لو علم الإنسان أنّ انحصار السعادة الأبديّة في لقاء الله تعالى في دار القرار، لَعَلِمَ:

١- أنّ المحجوب عنه شقيّ مُحترق بنار الفراق في دار البوار، وأغلظ الحُجُب هو حجاب اتّباع الشهوات، لكونها إعراضاً عن الله تعالى بمتابعة عدوّه الشيطانِ والهوى، بل بعبادتهما في الواقع بمفاد القول: «**من أصغى إلى ناطقٍ فقد عَبَده**».

٢- ولَعَلِم أيضاً أنّ الانصراف من طريق البُعد للوصول إلى القرب واجب، ولا يتمّ الانصراف إلاّ بالأمور الثلاثة المذكورة آنفاً في المعنى الفقهي للتوبة.

والسبب في ذلك أنّه كما إذا شرب شخص سمّاً، فإذا كان يريد صحّة بدنه، فيجب عليه فوراً أن يبذل الجهد ليتخلّص من ذلك السمّ بالطريقة الممكنة، وإذا تساهل فسيهلك نفسه فوراً. وسموم المعاصي كذلك، فإذا تساهل العاصي في التوبة، فكثيراً ما تكون النتيجة موته فوراً، ويُختم له بالشرّ، نعوذ بالله تعالى.

موارد التوبة

واعلم أنّك لا تخلو من المعصية في جوارحك، ومن الغِيبة والأذيّة والبُهتان وخيانة البصر وغيرها من صنوف المعاصي وأنواعها.

ولو فرض خلوّك منها، فلا تخلو من الرّذائل في نفسك والهمّ بها. وإن سَلِمْتَ، فلا أقلّ من غفلة وقصور في معرفة الله وصفات جماله وجلاله، وعجائب صُنعه وأفعاله.

ولا ريب في أنّ تلك منقصة فيك، ويجب الرجوع عنها، ولذا تجب التوبة عليك في كلّ آنٍ من آنائك.

فبناءً على ما ذكرنا، لو تأمّلت حقّ التأمّل في الجنايات الواردة عليك باختيارك وإرادتك، لطار اللّون من وجهك، والنوم من عينيك، والعقل من رأسك، ولكنّ هيهات.

شروط التوبة المقبولة

إعلم أنّ الله جلّ وعلا يقبل الصحيح من التوبة بشرط أن تغسل بماء العين أدرانَ المعاصي، بعد إضرام نار الندم في القلب، وكلّما كان تأثير الندم فيه أكثر، فإنّ ذلك سبب مزيد الأمل بتكفير الذنوب، وعلامةُ الصدق، لأنّه يجب إبدال حلاوة شهوة المعاصي بمَرارة الندم، ليَكون ذلك علامة تبدّل السيئات بالحسنات.

وجاء في الأخبار أنّ الله تعالى لا يقبل توبة العبد، ولا يقبل فيه شفاعة الشافعين، ما دامت في قلبه حلاوة الذنب الذي تاب منه.

كذلك يجب أن يتعلّق قصد التائب بترك كلّ محرّم وأداء كلّ واجب في الحال، وعلى الدوام في الاستقبال إلى حين الموت، وأن يتدارك كلّ ما فاته في الزمن السابق.

ويجب أن يجيل فكره من حين البلوغ، بل وقبل البلوغ، فيتذكّر حالاته الماضية حالةً حالة، ليرى ماذا فعل؟ مَنْ جالس؟ بِمَال مَنْ فرّط؟ أعمّ من العمد والخطأ، وأعمّ من التكليف وعدم التكليف، يحسب ذلك جميعاً، فإذا كان ذوو العلاقة موجودين، ولو وَرَثتُهم، يتسامح منهم، وإلّا فليدفع بعنوان ردّ المظالم عند القدرة والاستطاعة.

ولينظر ماذا ترك من الطاعات فيقضيه، وإذا كانت قد ترتّبت عليه فليدفعها، وليُوصل ما بقيَ في ذمّته من الحقوق الأخرى من قبيل الخمس وحقّ الإمام والزكاة إلى أصحابها، وحذار أن ينسى عملاً يحتاج إلى تدارك وتعويض، ويخرج من الدنيا دون أن يتداركه، فيبقى في العذاب الأبديّ.

وإذا نقض توبته – لا سمح الله – فليَتُب مجدّداً ولا يبعثه نقضُ التوبة على الكسل، فإنّه أرحم من كلّ رحيم.

زينب الكبرى..عالمة غير مُعلَّمة

إقرأ في الملف

مـــــــــــــــوَدَّة	«شـــــــعـــــائـــــر»
مـــــــوجـــــز الـــــــسـيرة	المـــــحـــــرِّر الـــثـــقـــافي
المـــــهـــــمّـــــة والـــــــدور	محـــمّـــد الـــعـــبـــد الله
قـــــــراءة فـــــي الخـــصـــائـــص	إبـــراهـــيـــم الـــرفـــيـــعـي
الـــيـــقـــين الـــزَّيـــنـــبـــي	نجـــيـــب حـــمـــدان

مَـــوَدَّة

قبل الخلق، كان رسول الله ﷺ، سرَّ الخلق.
وكان الحسين عليه السلام سرَّ السرّ.
وكانت زينب عليها السلام، توأم الحسين.
زينب «تالي المعصوم» وتجلّي سرِّ السرِّ المحمّدي.

***

مع عليٍّ عليه السلام كانت الصدِّيقة الكبرى، رسولَ رسولِ الله إلى المسجد النبوي.
ومع الحسين كانت الصدِّيقة الصغرى، رسولَ رسولِ الله إلى كربلاء.
كان عليّ عليه السلام، مأموراً بالصبر، والمرحلة فاطميّة.
وكان عليٌّ «الثاني» زين العابدين، مأموراً بالصبر، والمرحلة زينبيّة.

بأبي التي وَرِثت مصائبَ أُمِّها فَغَدَتْ تُقابلها بصبرِ أبيها

***

زينب الكبرى مُدَّخَرَةٌ لكربلاء، تدفع القتل –ثلاثاً– عن بقيّة نور الإمامة، نور الله في ظلمات الأرض، وتحمل راية أبي الفضل حيث لا يُؤذَن لإمام زمانها –«وارثِ وارثِ الأنبياء» زين العابدين عليه السلام– بحملها.

على عتبة الرحيل بكت الزهراء غربةَ عليّ.
فقال أبو الحسن: «ذلك في جنب الله قليل».
وفي التأبين قال: «أمّا حزني فسرمد. ما أقبح الخضراء والغبراء»!
وعند الوداع القسري في كربلاء، قالت زينب لِعَلِيِّها وإمامها السجّاد:
«ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وأمّي؟»
وكانت غربتها في قلب هذا الجود.
مَنِ المتفجِّعُ –منهما– على مَن؟ من؟!!

***

زينب الكبرى صِنْوُ أمِّها، في تعدّد الروايات حول تاريخ تسليم الراية إلى إمامها، والروح إلى جوار بارئها، وصِنْوُها في «القبر المجهول» والقدر المحمّدي الأعظم.

وزادت البنت على أمِّها مِن دارها تُسبى إلى شرِّ دار!

وزادت: أنّها طيلة رحلة «السبي» كانت ترى رأس إمامها وخامس أهل الكساء، محمولاً على الرمح!!

إن أخّروه شجاه رؤيةُ حالِها أوْ قدّموه فحالُه يشجيها

تأمّل –يا قلبُ- بعين القلب سائر الرؤوس، خصوصاً رأس أبي الفضل، وعليٍّ الأكبر، رغم أنّ كلّ مصابٍ بعد الحسين جلل.

أَحْفِ المهجة السؤال عن رأس عبد الله الرضيع؟!!

أعلِنها محمّديّة بيضاء، تلقَ بها الله ورسوله:

ما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله، مَن لم يستبدّ بقلبه عصفُ مأساة زينب!

وكيف تكون عترة المصطفى أحبّ إليه من عترته؟ كيف؟!!

**

في صغرها، قَصَّت زينب رؤياها على جدّها سيّد النبيّين.

كان عمرها أكبر بكثير من عمر النبيّ عيسى حين قال: إنّي عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيًّا.

كانت الرؤيا –قال الرواة- ترسم سيرة زينب مع أهل الكساء وبعدهم، حين تُظلم الدنيا، بعد أن تحمل هوج الرياح الشجرةَ.. فَالفَرْعَين، ثمّ الغُصنين الكبيرين.

عبّر الرؤيا رسول الله بما شرح لها به أمير المؤمنين ﴿كهيعص﴾ حين سمعها تدرِّس النساء القرآن الكريم في الكوفة، التي «هدأت فيها الأجراس، وسكنت الأنفاس» حين دخلتها زينب تُفرغ عن لسان عليّ بن أبي طالب نَفْسِ أفصحِ مَن نطق بالضاد.

كان التعبير والتفسير كربلاء.

وكانت كربلاء «العهد المعهود» الذي حدّثها به عليٌّ عليه السلام، وصفرةُ الوجه تغلب «صفرة العصابة»! (أنظر: «العهد المعهود» من هذا الملف).

***

«شاء الله أن يراهنَّ سبايا» مفتاحٌ إلهيّ حسينيّ لِباب معرفة ما يمكن بلوغه من الذرى الزينبيّة.

شاء الله أن تكون كربلاء زينبيّة كما هي حسينيّة. شاء أن تصل الراية إلى الإمام السجّاد من يد زينب، فكانت لها «نيابةٌ خاصة عن الحسين عليه السلام».

لزينب في قلب سيّد النبيّين، وكلِّ إمامٍ، إمام، موقعٌ فاطمي. بضعة وشجنة. في قلب «حديث الكساء» وأهل «العباء».

هل لهذا كانت زينب –كما رووا- جنيناً عند نزول آية التطهير والكساء والعباء؟

أين يقع سبي زينب من حقيقة «فمن آذاها فقد آذاني»؟

أوَ زينب تُسبى يا مسلمون؟

.. يا مدرك الثار البدار البدار و«يالثارات الحسين» الشِّعار

«شعائر»

النشأة، والعبادة والجهاد

موجز السيرة

إعداد: المحرّر الثقافي

زينب في اللّغة: اسم شجر حسن المنظر طيّب الرائحة، وهناك توجيهات أخرى.

والسيّدة زينب، سمّاها جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الإسم المبارك، ويُقال لها زينب الكبرى للتمييز بينها وبين من سُمّيت باسمها من أخواتها.

السيّدة زينب عليها السلام سليلة الدوحة النبويّة المباركة. جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوها عليه السلام وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّها سيّدة نساء العالمين، وأخواها الحسنان سيّدا شباب أهل الجنّة.

ألقابها عليها السلام

* اللّقب هو ما يُسمّى به الإنسان بعد اسمه العَلَم، مِن لفظ يدلّ على المدح أو الذمّ، ولمّا كانت هذه السيّدة المبارَكة جامعة لكلّ الفضائل الحميدة، والصفات الخيِّرة كان البيان عاجزاً والقلم قاصراً، عن ذكر قليل من كثير ما اتّصفت به سلام الله عليها من الفضائل والمناقب، فالمدح في حقّها عليها السلام هو كما قال الشاعر:

ألا إنّ ثوباً خِيط من نسج تسعةٍ وعشرين حرفاً عن معاليه قاصرُ.

* **أهم ألقابها عليها السلام: زينب المسبيّة، العابدة، الفاضلة، الكاملة، الصابرة، عقيلة حيدر، أمّ المصائب، عقيلة قريش، بطلة كربلاء، عقيلة بني هاشم، قرّة عين المرتضى، المجاهدة، المحتسبة، العالِمة غير المعلَّمة، الفَهِمَة غير المفهَّمة، صاحبة النيابة الخاصّة، شريكة الحسين سيّدِ الشهداء،** وتُلقّب **بالصدِّيقة الصغرى** للتفريق بينها وبين أمّها الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

الولادة

* وُلدت سيّدتنا ومولاتنا زينب الكبرى عليها السلام، بنت أمير المؤمنين والصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليهما، في المدينة المنوّرة، يوم الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة من الهجرة.

الزواج

* زوجها هو ابن عمّها، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو أوّل مولود وُلد في الإسلام بأرض الحبشة، ونشأ وترعرع في حجر عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أن زوّجه ابنته زينب عليها السلام، وكان عبد الله جواداً كريماً يُكنّى أبا محمّد، وأبوه هو جعفر الطيار «ذو الجناحين» شهيد وقعة «مؤتة».

* تُوفي عبد الله بالمدينة المنورة سنة ٨٠ للهجرة، وخلّف من زينب عليها السلام أربعة أولاد هم: عون الأكبر، محمّد، عليّ، وأم كلثوم.

وبحسب بعض الروايات والآراء، فقد استُشهد محمّد وأخوه عون مع خالهما الحسين عليه السلام في كربلاء، وأمّهما زينب تنظر إليهما.

عبادتها عليها السلام

نشأت هذه الكريمة في حضن النبوّة، ودرجت في بيت الرسالة، ورضعت لبان الوحي، فنشأت نشأة قدسيّة، ورُبّيت تربية روحانيّة. كانت عليها السلام تُشبه أباها وأمها عليهما السلام في العبادة .. فكانت تؤدّي النوافل كاملةً في كلّ أوقاتها، ولم تغفل عن نافلة الليل قطّ، حتى ليلة الحادي عشر من محرّم. كانت من القانتات العابدات، اللّواتي وقفْنَ حركاتهنّ وأنفاسهنّ للباري عزّ وجلّ، وقد رُوي أنّ الإمام السجّاد عليه السلام رآها بعد عاشوراء وفي رحلة السبي، تصلّي النوافل من جلوس، لأنّها ضعفت عن القيام، حيث كانت تعطي رغيفها للأطفال، ومع ذلك لم تترك صلاة النوافل.

جهادها عليها السلام

حياة السيّدة زينب عليها السلام، هي حياة القائد الجهادي الكبير، الذي تستلهم الأجيال منه دروس الجهاد والمقاومة. إنها عليها السلام في الدرجة التي تلي المعصومين الأربعة عشر عليهم الصلاة والسلام، الذين هم قادة الأمم، وساسة العباد، وأركان البلاد، كما ورد في الزيارة الجامعة. وخطبتها عليها السلام في الشام، منشور جهادي عالميٌّ نبوي، ووثيقة إلهيّة كبرى تتماهى مع خطبة أمّها الصدِّيقة الكبرى في المسجد النبوي المبارك، ومع «الخطبة الشقشقيّة» لأبيها أمير المؤمنين.

وينقل بعض الصالحين عن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام تأكيده على حفظ هذه الخطب الثلاث.

* في السنوات الخمس الأولى من عمرها، عايشت السيّدة زينب جدَّها المصطفى صلى الله عليه وآله وهو يقود معارك الجهاد لتثبيت أركان الإسلام، ويتحمَّل هو وأهل بيته وسائر المسلمين أقسى المخاطر التي تزيغ من بعضها الأبصار.
* في الأشهر الثلاثة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، رافقت أمّها الزهراء وهي عليها السلام، تدافع عن مقام الخلافة الشرعي، وتطالب بحقّها المصادَر، وتعترض على ما حصل بعد الرسول من تطوّرات، وتصارع الحسرات والآلام التي أصابتها.

ثمّ عاصرت السيّدة زينب عليها السلام، أباها سيّد الوصيين قبل خلافته الظاهريّة، ثمّ كانت معه في الكوفة لتعايش عن قرب كلّ ما عصف بالأمّة خلال هذه المراحل والأدوار.

* بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، واكبت السيّدة زينب محنة أخيها السبط الأكبر الإمام الحسن عليه السلام، وما تجرَّع فيها من غُصص وآلام، وصولاً إلى امتحانها الأصعب ودورها التاريخي في نهضة أخيها الحسين عليه السلام في كربلاء.
* ممّا يدلّ بوضوح على أنّ السيدة زينب عليها السلام، مُدَّخرةٌ، بمشيئة الله تعالى لكربلاء، خروجها من المدينة مع سيّد الشهداء عليه السلام، مع أنّها كانت قبل ذلك في بيت زوجها عبد الله بن جعفر، ولم تكن في عداد «عيال» الإمام الحسين عليه السلام.

المرقد المبارك

كما تقدّم في مفتتح هذا الملف، لقد شاركت الصدِّيقة الصغرى أمّها الصدِّيقة الكبرى في أمور كثيرة، منها أنّ قبرها لا يُعرف مكانه بالتحديد. قال أحد العلماء: نحن نزور الروح حتّى عندما نقف بجوار قبر من نزوره. لذلك تنبغي العناية التامّة بزيارة مولاتنا السيدة زينب أينما كان المؤمن، وتنبغي العناية بامتياز بزيارتها عليها السلام في المقامين المنسوبين إليها في الشام ومصر.

* حول مرقدها عليها السلام في الشام، تحدّث ياقوت الحموي في (معجم البلدان) عن قرية (راوية) قائلاً عنها: «قرية من غوطة دمشق، بها قبر أم كلثوم، وقبر مدرك بن زياد الفزاري صحابيٍّ دُفن بها ... حدّثنا المتولّون على هذا المشهد بأنّ المدفونة هنا هي السيّدة أم كلثوم الكبرى زينب بنت الإمام عليّ بن أبي طالب، أخت الإمام الحسن والإمام الحسين، وأمّهم السيدة فاطمة الزهراء بنت سيّد المرسلين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وأنّها زوجة ابن عمّها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ... وأنّ سبب دفنها هنا هو قدومها إلى دمشق من المدينة مع زوجها سنة المجاعة أيام عبد الملك بن مروان ... أو لسبب آخر، وأنّ هذه القرية كانت ملكاً لزوجها، ولمّا ماتت دُفنت فيها».

* وذهب جمهرة من المؤرّخين إلى أنّ قبر الصدِّيقة الطاهرة زينب عليها السلام في مصر. وفي سبب هجرتها إلى هناك ذكر المؤرخون أنّ العقيلة أخذت تُلهب العواطف، وتستنهض المسلمين للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، والانتفاض على السلطة الأمويّة، فخَشِيَ والي يثرب، وكتب إلى يزيد، فأمره بإخراجها من المدينة إلى أيّ بلد شاءت، فامتنعت.

وبعد محاولات اختارت الهجرة إلى مصر، فوصلتها لأيّامٍ بقيت من ذي الحجّة، واستقبلها واليها مسلمة بن مخلد الأنصاري، فأنزلها في داره بالحمراء حيث أقامت أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، وانتقلت إلى جوار الله عشيّة يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة ٦٢ للهجرة، ودُفنت في دار مسلمة حيث مرقدها الآن في مصر.

ونقف في الختام مع هذه القصيدة العصماء، للشيخ جعفر النقدي رحمه الله، فهي من خير ما نظم في مدح السيدة زينب عليها السلام:

عقيلةُ أهل بيت الوحي بنتُ ... الوصيِّ المرتضى مولى الموالي
شقيقةُ سِبْطَي المختارِ مَنْ قد ... سَمَت شرفاً على هام الهلالِ
حَكَتْ خيرَ الأنام عُلاً وفخراً ... وحيدرَ في الفصيح من المَقالِ
وفاطمَ عفّةً وتُقىً ومجداً ... وأخلاقاً وفي كرم الخِلالِ
ربيبةُ عِصْمَةٍ طَهُرَتْ وطابت ... وفاقت في الصِّفات وفي الفِعالِ
فكانت كالأئمّة في هداها ... وإنقاذِ الأنام من الضَّلالِ
وكان جهادها [بالقَوْل] أمضى ... من البيض الصوارم والنِّصالِ
وكانت في المصلَّى إذ تُناجي ... وتدعو الله بالدمع المُذالِ [المنهمل]
ملائكةُ السماء على دعاها ... تؤمِّن في خضوعٍ وابتهالِ
روت عن أمّها الزهرا علوماً ... بها وصلت إلى حدِّ الكمالِ
مقاماً لم يكن تحتاج فيه ... إلى تعليم علمٍ أو سؤالِ
ونالت رتبةً في الفخر عنها ... تأخّرت الأواخر والأوالي
فلولا أمُّها الزهراء سادت ... نساء العالمين بلا جدالِ

حِجَابُ الزَّيْنَبِيَّات

إِمَّنَ العدلِ يا ابنَ الطلقاءِ تخديرُكَ حَرائرَكَ وإماءَكَ وسَوقُكَ بناتِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، سَبايا قد هُتِكَت سُتُورهنَّ وَأبديَت وُجُوهُهنَّ، تَحدُو بهنَّ الأعداءِ من بَلَدٍ الى بَلَد، ويستشرفهنَّ أهلُ المَاهِل والمناقل، وَيتصفَّحُ وجوههنَّ القريبُ والبَعيد، والدَنيُّ والشَّريف، لَيسَ مَعَهُنَّ مِن حُماتِهنَّ حَمِيّ، وَلا من رِجالِهنَّ وَلِيّ، وَكَيفَ تَرتَجي مراقبة ابنِ مَنْ لفظ فوه أكْبَاد الأزكياءِ وَنبت لحمُه بِدمَاءِ الشهداء...

المهمّة والدَّوْر
العهد المعهود، والنَّخب المخزون

إعداد: محمّد العبدالله

يرد في الروايات مصطلح «العهد» أو «عهد معهود» ويُراد به ما تحدّث به رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام، وعهد به إليهم- وحدّد لهم الموقف- حول أمور مستقبليّة تجري عليهم في إطار قيادتهم للأمّة من بعده.

من هذه «العهود المحمّديّة» ما رواه الإمام السجّاد عن عمّته السيّدة زينب عن أم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد حدّثته به عليه السلام، على أبواب السبي من كربلاء إلى الكوفة، وهو يتضمّن ما أُوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حول عاشوراء وما بعدها، كما يتضمّن أنّ السيّدة زينب سألت أمير المؤمنين عليه السلام، عمّا سمعته من أم أيمن، فأكّده لها، وحدّثها عمّا يجري عليهم في رحلة السبي إلى الكوفة.

في ما يلي تقدّم «شعائر» إضاءات على هذا العهد-الوثيقة، مع إدراج كامل النص، بإضافة عناوين لفقراته.

كربلاء، مخطّط نبويّ إلهيّ، لحفظ الذكر وبقاء الإسلام. وبديهيٌّ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله، قد حدَّث سيّد الشهداء والسيّدة زينب عليهما السلام، بما يجري في كربلاء وبعدها، وبديهيٌّ أيضاً أن يكون حديثه معهما أكثر ممّا وصل إلى الأجيال، فهما المعنيّان أكثر من غيرهما بتنفيذ هذا المخطّط الإلهي، الذي كانت بعض أساليب التعبير عنه، ما اتّفق عليه المسلمون من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسينٌ مني وأنا من حسين**».

في كربلاء قال الإمام الحسين عليه السلام لعمر بن سعد: «**عهدٌ معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأنّي برأسك على قصبة قد نُصب في الكوفة يتراماه الصبيان، ويتّخذونه غَرَضاً بينهم**».

ويتكرّر في روايات أهل البيت عليهم السلام مصطلح «العهد» أو «عهد معهود» في ما يريدون عليهم السلام التأكيد للأمّة على أنّه صادرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

من هذه «العهود» ما رُوي بسند مُعتَبر عن الإمام السجّاد عليه السلام، عن عمّته السيدة زينب، عن أم أيمن ،عن رسول الله صلى الله عليه وآله، يتحدّث فيه النبيّ الأعظم عمّا يجري على أهل البيت من بعده، وصولاً إلى كربلاء، وما بعدها، وستجد أنّ الإمام السجّاد عليه السلام، ينقل عن عمّته زينب عليها السلام، أنّها سألت أباها أمير المؤمنين عليه السلام، بعد إصابته في محراب مسجد الكوفة، فأضاف لها تفاصيل عمّا يجري في الكوفة بعد كربلاء، على بقيّة السيف من أهل البيت عليهم السلام.

وهذا «العهد» نص طويل، بل وثيقة نبويّة وعلويّة، ستقرأ في ختامها:

قال زائدة [وهو الراوي]: ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام بعد أن حدّثني بهذا الحديث: «.. خُذ إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً». أي لو أنّك سافرت على الإبل، تبحث عن هذا الحديث سنة كاملة، لكان قليلاً، في مقابل الحصول عليه.

***

نص العهد النبويّ، العلويّ
حول فضيلة زيارة الحسين عليه السلام

* عن قُدامة بن زائدة، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام:

«بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً، فقلت: إنّ ذلك لَكَما بلغك.

فقال لي: فلماذا تفعل ذلك، ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا، وذِكرِ فضائلنا، والواجبِ على هذه الأمّة من حقّنا.

فقلت: والله ما أريد بذلك إلّا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروهٌ ينالني بسببه.

فقال: والله إنّ ذلك لكذلك؟

فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك - يقولها ثلاثاً، وأقولها ثلاثاً.

«العهد المخزون» .. على أبواب السبي

فقال: أبْشر ثمّ أبشر، ثُمَّ فلأخبرنَّك بخبرٍ كان عندي في النخب المخزون.

فإنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقُتل أبي عليه السلام، وقُتل مَن كان معه من وُلده وأخوته وسائر أهله، وحُملت حُرَمُه ونساؤه على الأقتاب يُراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يُواروا، فعظُم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنتْ ذلك منّي عمّتي زينب الكبري بنتُ عليٍّ عليه السلام، فقالت:

ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدي وأبي وأخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وأخوتي وعمومتي ووُلد عمّي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مُرمّلين بالعرى، مسلّبين، لا يُكفّنون ولا يُوارون، ولا يعرِّج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزَعنّك ما ترى، **فوالله إنّ ذلك لَعَهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك**، ولقد أخذ الله ميثاق أُناسٍ من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمّة، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيُوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطفّ عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرسُ أثرُه ولا يعفو رسمُه على كرور اللّيالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا عُلوّاً.

لكي يصل إلى الأجيال مسنداً

فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟

فقالت: نعم، حدّثتني أمّ أيمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام، فعملت له حَرِيرَة [صنفٌ طعام] وأتاه عليٌّ عليه السلام بطبق فيه تمر. ثمّ قالت أمّ أيمن: فأتيتُهم بعسٍّ فيه لبن وزبْد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وشربوا من ذلك اللّبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر والزّبد، ثمّ غسل رسول الله صلى الله عليه وآله يده، وعليٌّ يصبُّ عليه الماء.

فلمّا فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثمّ نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه.

ثمّ رمق بطرْفه نحو السماء مليّاً، ثمّ وجَّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثمّ خرَّ ساجداً وهو يَنْشِج، فأطال النُّشوج وعلا نحيبُه وجرت دموعُه، ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطُر كأنّها صَوْبُ المطر، فحزنت

فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام وحزنت معهم لِما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهبناه أن نسأله، حتى إذا طال ذلك قال له عليٌّ، وقالت له فاطمة:

ما يُبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك، فقال: يا أخي سُررتُ بكم -وجاء في رواية بدل يا أخي: يا حبيبي- إنّي سُررتُ بكم سروراً ما سُررتُ مثله قط، وإنّي لأنظر إليكم وأحمدُ الله على نعمته فيكم، إذ هبط عليَّ جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسِبطيك فأكمل لك النعمة وهنّأك العطيّة، بأنْ جعلهم وذُريّاتِهم ومُحبّيهم وشيعتَهم معك في الجنة، لا يفرِّق بينك وبينهم، يُحْبَوْن كما تُحْبَى، ويُعطون كما تُعطى، حتى ترضى وفوق الرضا، على بلوى كثيرةٍ تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أُناس ينتحلون مِلّتك، ويزعمون أنّهم من أمّتك، براءٌ من الله ومنك، خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً، شتّى مصارعُهم، نائيةٌ قبورهم، خِيَرَةً من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عزّ وجلّ على خِيَرَتِه وارضَ بقضائه، فحمدتُ الله ورضيتُ بقضائه بما اختاره لكم.

غربة عليّ وشهادته في الكوفة

ثمّ قال لي جبرئيل: يا محمّد إنّ أخاك مضطّهد بعدَك، مغلوبٌ على أُمّتك، متعوب من أعدائك، ثمّ مقتولٌ بعدك، يقتله أشرُّ الخلق والخليقة، وأشقى البريّة، يكون نظيرَ عاقرِ الناقة، ببلدٍ تكون إليه هجرتُه، وهو مَغْرس شيعته، وشيعةِ وُلده، وفيه -على كلّ حال- يكثر بلواهم ويعظم مصابهُم.

شهادة الحسين في كربلاء

وإنّ سبطك هذا -وأومى بيده إلى الحسين عليه السلام- مقتولٌ في عصابة من ذريّتك وأهل بيتك، وأخيارٍ من أمّتك بضفّة الفرات بأرضٍ يُقال لها: كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريّتك في اليوم الذي لا ينقضي كربُه، ولا تفنى حسرتُه، وهي أطيبُ بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنّها من بطحاء الجنّة.

تزعزعت الأرض، وماجت السماوات

فإذا كان ذلك اليوم الذي يُقتل فيه سبطُك وأهله، وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللّعنة، تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادَتِ الجبال وكثر اضطرابُها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها غضباً لك يا محمّد ولذُريّتك، واستعظاماً لما يُنتَهك من حُرمتك، ولَشرّ ما تُكافى به في ذريّتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلّا استأذن الله عزّ وجلّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين، الذين هم حجّة الله على خلقه بعدك. فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن: إنّي أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يُعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام. وعِزَّتي وجلالي، لَأُعَذِّبَنَّ مَنْ وَتَرَ رسولي وصَفِيّي، وانتهك حرمتَه وقتل عترتَه، ونبذ عهده وظَلَم أهل بيته، عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يضجّ كلُّ شيءٍ في السماوات والأرضين بلَعن من ظلم عترتك، واستحلّ حرمتك.

استقبال أرواح الشهداء، ودفن الشهداء

فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولّى الله عزّ وجلّ قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرّد مملوءة من ماء الحياة، وحُلَل من حُلَل الجنّة، وطِيب من طِيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحُلَل، وحنّطوها بذلك الطيب [و] صلّت الملائكة صفّاً صفّاً عليهم.

ثمّ يبعث الله قوماً من أمّتك لا يعرفهم الكفّار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة، فيُوارون أجسامهم.

قبر سيد الشهداء عَلَمٌ لأهل الحقّ، وسبب الفوز

ويُقيمون رسماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء، يكون عَلَماً لأهل الحقّ، وسَبَباً للمؤمنين إلى الفوز، وتَحُفُّهُ ملائكةٌ من كلّ

سماء؛ مائة ألف ملَك في كلّ يوم وليلة، ويصلُّون عليه، ويُسَبِّحون الله عنده، ويستغفرون الله لِمَن زاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أُمَّتك متقرّباً إلى الله تعالى وإليك بذلك، وأسماءَ آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويُوسمون في وجوههم بمَيْسَمٍ نورِ عرش الله: هذا زائرُ قبر خير الشهداء، وابنِ خير الأنبياء. فإذا كان يوم القيامة، سطع في وجوههم من أثر ذلك المَيْسَم نورٌ تغشى منه الأبصار، يدلّ عليهم ويُعرفون به.

زوّار الحسين في القيامة

وكأنّي بك يا محمّد بيني وبين ميكائيل، وعليٌّ أمامنا، ومعنا من ملائكة الله ما لا يُحصى عددهم، ونحن نلتقط مَن ذلك الميسم في وجهه مِن بين الخلائق، حتى يُنجِّيهم اللهُ من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمّد، أو قبر أخيك، أو قبر سِبطيك، لا يريد به غير الله عزّ وجلّ، وسيجتهد أُناس ممّن حقّت عليهم اللعنة من الله والسخط، أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

* ثمّ قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني.

وكأنّي بك وبنساء أهلك سبايا

قالت زينب: فلمّا ضرب ابنُ ملجم -لعنه الله- أبي عليه السلام، ورأيتُ عليه أثر الموت منه، قلت له: يا أبه، حدّثتني أمّ أيمن بكذا وكذا وقد أَحببت أن أَسمعه منك.

فقال: يا بنيّة، الحديث كما حدّثتك أمّ أيمن، وكأنّي بك وبنساء أهلك [و] ببنات أهلك، سبايا بهذا البلد أذلّاء خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس، فصبراً صبراً، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذٍ وليٌّ غيرُكم وغيرُ محبّيكم وشيعتُكم.

لا ينفع مع عداوتكم عملٌ صالح

ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر: إنّ إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلّها بشياطينه وعفاريته، فيقول: يا معاشر الشياطين، قد أدركنا من ذريّة آدم الطَّلِبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائِهم، حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرُهم، ولا ينجو منهم ناجٍ، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب. إنّه لا ينفع مع عداوتكم عملٌ صالح، ولا يضرّ مع محبّتكم وموالاتكم ذنبٌ غير الكبائر.

قال زائدة: ثمّ قال عليُّ بن الحسين عليهما السلام بعد أن حدّثني بهذا الحديث: خذه إليك. أمَا لو ضربت في طلبه آباطَ الإبل حَوْلاً، لكان قليلاً».

وذكرتُ إذْ وَقَفَتْ..

وذكـــرتُ إذ وقفت عقيلةُ حيدرٍ ... مـذهـولـةً تُصغي لـصـوتِ أخيها

بـأبي الـتي ورِثَـــتْ مصائبَ أمّها ... فـغـدَتْ تُـقـابـلـهـا بـصـبرِ أبيها

لم تَلْهُ عن جمْعِ العيالِ وحِفظِهم ... بـفِـراقِ إخـوتِـهـا وفَـقْـدِ بَنيها

تـدعـو فـتـحـتـرقُ الـقـلـوبُ كأنّما ... يـرمـي حـشـاهـا جَـمـرَه مـن فيها

السيّد رضا الهندي رحمه الله

خصائص السيّدة زينب الكبرى

هكذا تحدَّث عنها المعصومون، وتحدَّثَتْ عنهم*

إبراهيم الرفيعي

أمام الباحث المتأمّل في شخصيّة عقيلة الهاشميّين عليها السلام طريقان لتحديد ملامح تلك الشخصيّة الفذّة:

أ. دراسة سيرتها الذاتيّة وكلامها وخُطبها عليها السّلام.

ب. دراسة كلام المعصومين عليهم السلام في شأنها، وكيفيّة تعاملهم معها.

في هذه المقالة نتحدّث عن شخصيّة السيّدة زينب عليها السلام من خلال كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة الهُدى عليهم السلام في شأنها عليها السّلام، والطريقة التي كانوا يتعاملون بها معها.

أطلّت السيّدة زينب عليها السلام على الدنيا في الخامس من شهر جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة، في بيتٍ أَذِن اللهُ أن يُرفع ويُذكر فيه اسمُه، وفتحت الوليدة المباركة عينيها تتطلّع إلى وجوهٍ أكرمها ربّ العزّة عن أن تسجد لصنمٍ قطّ، مُتسلسلةً في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهّرات.

وسألت سيّدةُ نساء العالمين فاطمة عليها السلام خيرَ الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، سألته أن يختار للنسمة الطاهرة المباركة اسماً، فأبى أن يَسبِق رسولَ الله صلى الله عليه وآله -وكان غائباً يومذاك- في تسميتها، ثمّ عاد النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فسمّاها خاتم الرسل صلى الله عليه وآله «زينب».

لماذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله في ولادة زينب؟

من غير المعهود أنّ الأب أو الجدّ إذا رُزِق ولداً أو حفيداً بكى وانتحب وذرف الدموع سِخاناً، فلماذا يحدّثنا التاريخ أنّ الحسين عليه السلام حَمَل إلى أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بشارةَ ولادة أخته زينب، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام بكى -بأبي هو وأمّي- لَمّا بُشِّر بولادتها، فسأله الحسينُ عليه السلام عن علّة بكائه، فأخبره أنّ في ذلك سرّاً ستُبيّنه له الأيّام. ثمّ حُملت الوليدة الطاهرة إلى جدّها الحبيب محمّد صلى الله عليه وآله، فاحتضن رسولُ الله صلى الله عليه وآله الطفلةَ الصغيرة وقبّل وجهها، ثمّ لم يتمالك أن أرخى عينَيه بالدموع. وكان جبرئيل عليه السلام الذي هبط باسم «زينب» من ربّ العزّة، قد أخبر حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله بأنّ هذه الوليدة ستشاهد المصائب تلو المصائب، وأنها ستُفجَع بجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأمّها فاطمة سيّدة النساء عليها السلام، وبأبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وبأخيها الحسن المجتبى عليه السلام سِبطِ رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ تُفجع بمصيبةٍ أعظمَ وأدهى، هي مصيبة قتل أخيها الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة في أرض كربلاء.

أُمّ المصائب

تُسمّى العقيلة زينب سلام الله عليها «أمَّ المصائب»، وحقّ لها أن تُسمّى بذلك، فبالإضافة إلى ما تقدَّم آنفاً، فقد قُتل ولداها عَونٌ ومحمّد مع خالهما أمام عينيها، وحُملت أسيرةً من كربلاء إلى الكوفة، وأُدخلت على ابن زياد في مجلس الرجال، وقابلها بما اقتضاه لُؤمُ عنصره من الكلام الخشن الموجع وإظهار الشماتة المُمِضّة. وحُملت أسيرةً من الكوفة إلى ابن آكلة الأكباد

بالشام، ورأسُ أخيها ورؤوس ولدَيها وأهل بيتها أمامها على رؤوس الرماح طوال الطريق، حتى دخلوا دمشق على هذه الحالة، وأُدخلوا على يزيد في مجلس الرجال وهم مُقرّنون بالحبال.

ثواب البكاء على مصائب زينب عليها السلام

روي أنّ جبرئيل عليه السلام لمّا أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بما يجري على زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام من المصائب والمحن، بكى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: «**مَن بكى على مصاب هذه البنت، كان كَمَن بكى على أخوَيها الحسن والحسين عليهما السلام**».

احترام الإمام الحسين عليه السلام لأخته زينب عليها السلام

نُقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه كان إذا زارته زينب عليها السلام، يقوم إجلالاً لها، وكان يُجلِسُها في مكانه. قال السيّد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي: «ويكفي في جلالة قَدْرِها ونَبالةِ شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت على الحسين عليه السلام، وكان يقرأ القرآن، فوضع القرآن وقام لها إجلالاً».

السيّدة زينب عليها السلام مفسّرة القرآن

ذكر السيّد نور الله الجزائري في كتاب (الخصائص الزينبيّة)، أنّ السيّدة زينب عليها السلام كان لها مجالس في بيتها في الكوفة أيّام خلافة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت تفسّر القرآن للنساء. وفي بعض الأيّام كانت تفسّر «كهيعص» إذ دخل عليها أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: «**يا قرّةَ عيني، سمعتكِ تفسّرين «كهيعص» للنساء، فقالت: نعم. فقال عليه السلام: هذا رمز لمصيبة تُصيبكم عترةَ رسول الله صلى الله عليه وآله**». ثمّ شرح لها تلك المصائب، فبكت بكاءً عالياً.

السيّدة زينب عليها السلام المحدّثة العالِمة

قال الإمام زين العابدين عليه السلام لعمّته زينب عليها السلام: «**أنتِ بحمد الله عالِمةٌ غيرُ مُعلَّمة، فَهِمةٌ غيرُ مُفهَّمة**». وكلام الإمام زين العابدين عليه السلام يدلّ -بما لا غبار عليه- على المنزلة العلميّة الرفيعة التي كانت فيها عقيلة الهاشميّين عليهم السلام، فهي عالمة بالعلم اللدُنّيّ المُفاض من قِبل ربّ العزّة تعالى، وليس بالعلم المتعارَف الذي يُكتسب بالدرس والبحث. وقال الشيخ المامقاني في (تنقيح المقال) في معرض حديثه عن السيّدة زينب عليها السلام: «زينب، وما زينب! وما أدراك ما زينب! هي عقيلة بني هاشم، وقد حازت من الصفات الحميدة ما لم يَحُزْها بعد أمّها أحد، حتّى حقّ أن يُقال: هي الصدّيقة الصغرى، هي في الحجاب والعفاف فريدة، لم يَرَ شخصَها أحدٌ من الرجال في زمان أبيها وأخوَيها إلى يوم الطفّ، وهي في الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى وحيدة، وهي في الفصاحة والبلاغة كأنّها تُفرِغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام كما لا يَخفى على مَن أنعم النظر في خُطبتها. ولو قلنا بعصمتها لم يكن لأحد أن يُنكر -إن كان عارفاً بأحوالها في الطفّ وما بعده. كيف ولولا ذلك لما حمّلها الحسين عليه السلام مقداراً من ثقل الإمامة أيّام مرض السجّاد عليه السلام، وما أوصى إليها بجملة من وصاياه، ولَما أنابَها السجّادُ عليه السلام نيابةً خاصّة في بيان الأحكام وجملة أخرى من آثار الولاية».

العقيلة تُحدِّث بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله

قالت زينب: فلمّا ضرب ابنُ ملجم -لعنه الله- أبي عليه السلام، ورأيتُ عليه أثر الموت منه، قلت له: يا أبه، حدّثني أمّ أيمن بكذا وكذا وقد أَحببت أن أَسمعه منك. فقال: يا بنيّة، الحديث كما حدّثتك أمّ أيمن، وكأنّي بك وبنساء أهلك [و] ببنات أهلك، سبايا بهذا البلد أذلّاء خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس، فصبراً صبراً، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذٍ وليٌّ غيرُكم وغيرُ محبّيكم وشيعتُكم. (أنظر: «العهد المعهود»، ص ٣٣-٣٥).

السيّدة زينب عليها السلام تنقل خطبة أمّها الزهراء عليها السلام

قال أبو الفرج الإصفهاني:«والعقيلةُ هي التي روى ابنُ عبّاس عنها كلامَ فاطمةَ عليها السلام في فدك، فقال: حَدّثتني عقيلتُنا زينبُ بنت عليّ عليه السلام» .

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن أحمد بن محمّد بن جابر، عن زينب بنت عليّ عليها السلام قالت: «**قالت فاطمة عليها السلام في خطبتها في معنى فدك:**

للهِ فيكم عَهدٌ قَدَّمه إليكم، وبقيّةٌ استخلفها فيكم: كتاب الله بيّنةٌ بصائرُه، وآيٌ منكشفةٌ سرائرُه، وبرهانٌ متجلّيةٌ ظواهرُه، مديمٌ للبريّة استماعُه، وقائدٌ إلى الرضوان اتّباعُه (أتباعَه)، ومُؤدٍّ إلى النجاة أشياعَه، فيه تِبيانُ حُجج الله المنيرة ومَحارمِه المحرّمة، وفضائله المدوّنة، وجُمَله الكافية، ورُخَصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، وبيّناته الجالية؛ ففَرَض الإيمانَ تطهيراً من الشّرك، والصلاةَ تنزيهاً من الكِبر، والزكاةَ زيادةً في الرزق، والصيامَ تثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تسنيةً [التسنية: الشرف، المجد، ارتفاع المنزلة] **للدِّين، والعدلَ مَسْكاً للقلوب، والطاعةَ نظاماً للملّة، والإمامةَ لَمّاً من الفُرقة، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والصبرَ مَعونةً على الاستيجاب، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعامّة، وبِرَّ الوالدين وِقايةً عن السخط، وصِلةَ الأرحام مَنْماةً للعَدد، والقِصاصَ حَقْناً للدماء، والوفاءَ للنَذرِ تعرّضاً للمغفرة، وتوفيةَ المكائيل والموازين تغييراً للبخسة، واجتنابَ قَذف المُحصَناتِ حَجْباً عن اللعنة، واجتنابَ السرقةِ إيجاباً للعِفّة، ومُجانبةَ أكلِ أموالِ اليتامى إجارةً عن الظلم، والعدلَ في الأحكامِ إيناساً للرعيّة، وحرّمَ اللهُ عزّوجلّ الشِّركَ إخلاصاً للرّبوبيّة، فاتّقوا الله حقَّ تُقاته فيما أمَرَكم به، وانتَهُوا عمّا نهاكم عنه».**

ثمّ ذكر الشيخ الصدوق أنّه يروى هذا الحديث بطريقين آخرين عن السيّدة زينب عليها السلام .

السيّدة زينب عليها السلام تروي قصّة ولادة أخيها الحسين عليه السلام

روى الخزّاز القمّي بإسناده عن الإمام زين العابدين عليه السلام، عن عمّته زينب بنت عليّ عليها السلام، عن فاطمة عليها السلام، قالت: «**دخل إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله عند ولادة ابني الحسين، فناولتُه إيّاه في خرقةٍ صفراء، فرمى بها وأخَذ خرقةً بيضاءَ فلفّه (بها)، ثمّ قال: خُذيه يا فاطمة، فإنّه الإمام وأبو الأئمّة؛ تسعةٌ من صُلبه أئمّة أبرار، والتاسع قائمُهم».**

العقيلة تروي عبادةَ أمّها الزهراء عليها السلام

وروي عن عبد الله بن الحسن، عن أمّه فاطمة الصغرى، عن أبيها الحسين عليه السلام وعمّتها زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ فاطمة عليها السلام قامت في محرابها في جُمعتِها، فلم تَزَل راكعةً ساجدةً حتّى اتّضحَ عمود الصبح، وكانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمّيهم وتُكثِرُ الدعاءَ لهم ولا تَدعو لنفسِها بشيء، فقال لها الحسين عليه السلام: «**ألا تَدعِينَ لنفسكِ كما تَدعِينَ لغيرِك؟ فقالت: الجارُ ثمّ الدار».**

العقيلة تروي قصّة دفن أمير المؤمنين عليه السلام

ورُوي عن السيّدة زينب عليها السلام أنّها قالت: «**كان آخر عهدِ أبي إلى أخوَيّ عليهما السلام أنّه قال لهما:**

يا بَنيّ، إذا أنا متُّ فغَسِّلاني ثمّ نَشّفاني بالبُردةِ التي نُشِّفَ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة، وحنِّطاني وسَجّياني على سريري، ثمّ انظُرا حتى إذا ارتَفَع لكما مُقدَّمُ السرير فاحمِلا مؤخَّره. قالت: فخرجتُ أُشيّعُ جنازةَ أبي، حتّى إذا كنّا بظهرِ الكوفة وقَدِمنا بظهرِ الغَريّ ركزَ المقدَّم، فوَضَعنا المؤخّر، ثمّ بَرَز الحسنُ عليه السلام مُرتدياً بالبُردةِ التي نُشِّف بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وفاطمةُ وأميرُ المؤمنين عليهما السّلام، ثمّ أخذَ المعوَلَ فضرَبَ ضربةً فانشَقّ القبرُ عن ضريح، فإذا هو بساجةٍ [لوح من شجر الساج] **مكتوبٍ عليها سطران بالسريانيّة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبرُ حَفَره نوحٌ النبيّ لعلِيٍّ وصيِّ محمّدٍ قَبلَ الطُّوفان بسبعمائة عام. قالت عليها السلام:.. سمعتُ ناطقاً لنا بالتعزية وهو يقول: أحسَنَ اللهُ لكم العزاءَ في سيّدكم وحجّة الله على خلقه».**

السيّدة زينب عليها السلام تروي قصّة نزول طعام الجنّة

روى عماد الدين الطوسيّ عن زينب بنت عليّ عليهما السلام، قالت: «**صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، ثمّ أقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هل عندكم طعام؟ فقال: لم آكل منذ ثلاثة أيّام طعاماً، وما تركتُ في بيتنا طعاماً.**

فقال صلى الله عليه وآله: سِرْ بنا إلى فاطمة! فلمّا دخلا على فاطمة، نظرا إليها وقد أخذَها الضَّعف من الجوع وحولَها الحَسَنان عليهما السّلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة فِداكِ أبوكِ، هل عندكِ شيء من الطعام؟ فاستَحيَت فاطمةُ أن تقول لا. وقامت واستقبلت القِبلة لتصلّي ركعتَين، فأحسّت بحسيس، فالتفتت وإذا بصُحفة ملأى ثَريداً ولحماً، فأتت بها ووضعتها بين يدَي أبيها صلى الله عليه وآله، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعليّ والحسن والحسين، ونظر عليّ عليه السلام إلى فاطمة متعجّباً وقال: يا بنتَ رسول الله، أنّى لكِ هذا؟ فقالت: هو من عند الله، إنّ الله يَرزقُ مَن يشاء بغير حساب».

العقيلة زينب عليها السلام المتهجّدة العابدة

أشبَهَت عقيلةُ بني هاشم عليها السلام أمَّها سيّدةَ نساء العالمين فاطمةَ الزهراء عليها السلام في عبادتها، فكانت تقضي ليلها بالصلاة والتهجّد، ولم تترك نوافلها حتى في أحلَك الظروف وأصعبها، فقد رُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّ عمّته زينب ما تَرَكت نوافلها الليليّة مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقهم إلى الشام.

لم تَقعُد بها تلك المصائب الفادحة التي تَهدّ الجبالَ عن أن تتهجّد وتُناجي ربّها الكريم. ونُقل عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمام الحسين عليه السلام، أنّه لمّا ودّع أخته زينب عليها السلام وَداعَه الأخير قال لها: يا أُختاه، لا تنسيني في نافلة الليل.

ورُوي عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «**إنّ عمّتي زينب كانت تؤدّي صلواتها من قيام -الفرائض والنوافل- عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلّي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك، فقالت: أصلّي من جلوس لشدّة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال؛ لأنّها كانت تُقسّم ما يُصيبها من الطعام على الأطفال، لأنّ القوم كانوا يدفعون لكلّ واحد منّا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة**».

وفي هذه الأخبار دلالة لا أوضح منها، على أنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت من القانتات اللائي وَقَفنَ حركاتهنّ وسكناتهنّ وأنفاسهنّ للباري تعالى، فحصلن بذلك على المنازل الرفيعة والدرجات العالية التي حَكَت برفعتها منازلَ المُرسلين ودرجات الأوصياء عليهم الصلاة والسلام.

العقيلة زينب عليها السلام وصيّة الإمام الحسين عليه السلام

ومن الشرف الذي لا يَلحقه شرف، أنّ الإمام الحسين عليه السلام ائتمن أختَه العقيلةَ عليها السلام على أسرار الإمامة، فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى أحمد بن إبراهيم، قال: «دخلتُ على حكيمة بنت محمّد بن عليّ الرضا أخت أبي الحسن [عليّ الهادي] العسكريّ عليهم السلام في سنة ٢٦٢ للهجرة بالمدينة، فكلّمتُها من وراء حجاب وسألتُها عن دينها، فسَمَّت لي مَن تأتمّ بهم، ثمّ قالت: فلان ابن الحسن عليه السلام، فسمّته [يقصد أنّها سَمَّت الإمام الحجّة بن الحسن العسكريّ عليه السلام].

فقلتُ لها: جَعَلني اللهُ فِداكِ، مُعايَنةً أو خَبَراً؟ فقالت: خبراً عن أبي محمّد عليه السلام كَتَب به إلى أمّه. فقُلت لها: فأين المولود؟ فقالت: مستور. فقلت: فإلى مَن تَفزَعُ الشيعة؟ فقالت: إلى الجدّة أمّ أبي محمّد عليه السلام. فقلت لها: أقتدي بمَن وصيّتُه إلى امرأة؟! فقالت: اقتداءً بالحسين بن عليّ عليه السلام؛ إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن عليّ بن الحسين عليه السلام من عِلمٍ يُنسَب إلى زينب بنت عليّ، سَتراً على عليّ بن الحسين عليه السلام. ثمّ قالت: إنّكم قومٌ أصحابُ أخبار، أما رَوَيتُم أنّ التاسع من وُلد الحسين عليه السلام يُقسّم ميراثَه وهو في الحياة؟».

وروي أنّه كانت لزينب عليها السلام نيابة خاصّة عن الحسين عليه السلام، وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام، حتّى برئ زينُ العابدين عليه السلام من مرضه.

السيّدة زينب عليها السلام المدافعة عن حريم الولاية

أ. مع أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام: نافحت عقيلة الهاشميّين عليها السلام عن حريم الولاية، ووقفت إلى صفّ إمام زمانها عليه السلام سواءً في زمن أمير المؤمنين، أم الإمام الحسن عليه السلام، تدافع عنه وتجاهد بالكلمة والموقف.

ب. مع الحسين الشهيد عليه السلام: أمّا مع أخيها وإمامها الحسين الشهيد عليه السلام، فقد رافقته إلى كربلاء، ووقفت إلى جانبه خلال تلك الشدائد التي يَشيبُ لها الوِلدان، وقدّمت ابنَيها (عوناً ومحمّداً) شهيدَين في طفّ كربلاء، ولم يُنقَل عنها عليها السلام أنّها نَدبت ابنَيها بكلمةٍ ولا ذَرَفت لِفَقدهما دمعة، فقد كان همّها الشاغل مواساة أخيها الحسين عليه السلام بكلّ وجودها.

يُكتفى هنا بذكر بعض مواقفها عليها السلام في كربلاء، لأنّها أشهر من أن يُعرّف بها.

* روى المجلسي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا طُعن في خاصرته فسقط عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن، خرجت زينب من الفسطاط وهي تنادي: «**واأخاه واسيّداه واأهلَ بيتاه! لَيت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل**».

* قال الراوي: فوالله لا أنسى زينبَ بنت عليّ عليها السلام وهي تندبُ الحسينَ وتنادي بصوتٍ حزين وقلبٍ كئيب:

«**واحمّداه! صلّى عليك مَليكُ السماء، هذا حسينٌ مُرمَّلٌ بالدماء، مُقَطَّعُ الأعضاء، وبَناتُك سبايا، إلى الله المُشتكى... واحمّداه! هذا حُسينُ بالعراء، يَسفي عليه الصَّبا، قتيلُ أولادِ البغايا، يا حُزناه يا كَرباه! اليوم مات جدّي رسول الله. يا أصحابَ محمّداه، هؤلاء ذريّةُ المصطفى يُساقُونَ سَوقَ السبايا!**».

ج. مع الإمام زين العابدين عليه السلام: تولّت عقيلة بني هاشم عليها السلام تمريضَ الإمام زين العابدين عليه السلام ورعايتَه والمحافظةَ عليه في كربلاء والكوفة والشام. وكان من المواقف التي خلّدها لها التاريخ في دفاعِها عن إمام زمانها؛ الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، موقفٌ في مجلس ابن زياد في الكوفة، حين قال ابنُ زياد للإمام السجّاد: ولكَ جرأةٌ على جوابي؟! ثمّ قال: اذهَبوا به، فاضربوا عُنُقَه!

سَمِعَت عمّتُه زينبُ ذلك فقالت: «**يا ابنَ زياد، إنّك لَم تُبقِ منّا أحداً، فإن عَزَمتَ على قتلِهِ فاقتُلني معه**»، وكانت قد دفعت عنه عليها السلام القتل في كربلاء، وكذلك بعد السبي إلى الشام.

كانت كلمات العقيلة عليها السلام استمراراً لنهضة أخيها الشهيد عليه السلام، وكان ثباتها وصمودها وصبرها السُّورَ الحصين الذي صان مُعطيات الثورة الحسينيّة المباركة، والترجمانَ الصادق الذي نقل للأجيال تفاصيل تلك النهضة الظافرة.

لا تمحو ذِكْرَنا

فكِدْ كيدَك، واسْعَ سَعْيَك، وناصبْ جُهدَك، واللّه لا تمحو ذكرنا، ولا تُميتُ وَحْينا، ولا تُدرك أمَدَنا، ولا يَرْخَصُ عنك عارُها، وهل رأيُك إلّا فَند، وأيّامُك إلا عَدَد، وجمعُك إلّا بَدَدْ، يومَ يُنادي المنادي: ألا لعنةُ اللّه على الظالمين. فالحمدُ للّه الذي ختَمَ لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل اللّه أن يُكمل لهم الثواب، ويُوجب لهم المزيد، ويُحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم وَدود، وحسبنا اللّه ونِعمَ الوكيل.

ألا فالعجب كلُّ العجب لقتلِ حزب اللّه النُجباء بحزب الشيطان الطُلقاء!

دوامُ ذكر اللّه.. وصلاةُ اللّيل

دَرسان من اليقين الزَّينبي

نجيب حمدان

هل يعقل أن نمرّ مروراً عابراً -أَلفْناه- بعَظَمة هذا اليقين الزينبي -المحمّدي- الذي نفهم منه أنّ كلّ فجائع المصطفى الكربلائيّة، لم تقوَ على إضعاف عزيمتها قيد أنملة، فإذا كلُّ حرف من خطبتها التاريخيّة كضربة بحدّ ذي الفقار: «وهل رأيُك إلا فَنَدْ. وأيّامُك إلاّ عَدَدْ. وجَمْعُك إلا بَدَدْ. يوم يُنادي المنادي: ألا لعنةُ الله على الظالمين..».

(١)

- أيُّ سِرٍّ في هذا اليقين الزينبي، وهل إلى رَشْحةٍ منه، من سبيل؟
- أليقين طمأنينة قلب، وسكينةٌ يُنزلها الله على مَن يجعله في درعه الحصينة:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد:٢٨.

وليس المُراد بالذِّكر اللّساني منه فقط، ولا القلبيّ بمَعزل عن اللّساني، بل المُراد به القلبي الذي لا سبيل إليه إلا باللّساني.

وينبغي أن يكون واضحاً أنّ الفكر أرقى أنواع الذِّكر.

علينا إذاً أن نُفكّر جيّداً، للوصول إلى الذِّكر القلبي، وأن نُجيد اختيار الذِّكر اللّساني الذي يتكفّل بتَهيئة المُناخ الأمثل للذِّكر القلبي.

والنُّقطتان العمليّتان هنا:

* اختيار أوقاتٍ مناسبة للتفكير بالنفْس، وما حولنا، والهمِّ العام: همِّ المسلمين، وكلِّ عباد الله المُستضعفين، والمسار والمصير.
* واختيار أذكار نلتزم بالمواظبة عليها على قاعدتين:

١- يذكرون الله قياماً، وقُعوداً، وعلى جُنوبهم. ٢- خيرُ الأعمال أدومُها وإن قلَّ.

هل تُدرك يا قلب، أنّ ثمّة مشكلة في الموقف السائد من الذِّكر؟

(٢)

يرتبط اليقين بالعبادة ارتباطاً وثيقاً: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ الحجر:٩٩.

ولَئِن لم يكن لنا أن نتحدّث عن علاقة عبادة مولاتنا السيدة زينب بِيقينها، فلا أقلَّ من الحديث العام في هَدي ما نعرف من سيرتها المباركة.

نعرف عموماً أنّها كانت تصلّي صلاة الليل حتى في ليلة الحادي عشر، وأجواءِ الأسر، ونعرف أنّها كانت تضطرّ لصلاة النوافل من جلوس، لأنّها عليها السلام، كانت تحتفظ بالرغيف الذي كان يُعطى لكلِّ أسير، لِتُطعمه لأيتامِ رسول الله، أيتامِ أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فما هو موقفنا من صلاة اللّيل، ولو قضاءً؟!

* من دروس «المركز الإسلامي»

دُعاء «غرّة جُمادى الآخرة»

تُستحبُ قراءة هذا الدعاء المروي في (إقبال الأعمال) للسيد ابن طاوس في أوّل يوم من أيام هذا الشهر:

أللّهمّ يا أللهُ أنتَ الدائمُ القائمُ، يا أللهُ أنتَ الحيُّ القيّومُ، يا أللهُ أنتَ العليُّ الأعلى، يا أللهُ أنت المتعالي في عُلوِّك، إلهُ كلِّ شيءٍ، وربُّ كلِّ شيءٍ، وخالقُ كلِّ شيءٍ، وصانعُ كلِّ شيءٍ، القاضي الأكبرُ، القديرُ المقتدرُ، تباركت أسماؤكَ وجلَّ ثناؤكَ.

أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ، وعرِّفنا بركةَ شهرنا هذا وارزُقنا يُمْنَه ونُورَهُ ونَصْرَهُ وخَيْرَهُ وبِرَّهُ، وسهِّل لي فيه ما أُحِبُّهُ، ويَسِّر لي فيه ما أُريدُهُ، وأَوصِلْني إلى بُغيتي فيه. إنّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

أللّهمّ إنّي أسألُكَ يا مَن يَملكُ حوائجَ السائلينَ، ويَعلمُ ضميرَ الصامتينَ، ويا مَن لكلِّ مسألةِ عندَهُ سَمْعٌ حاضرٌ وجوابٌ عتيدٌ، ولكلِّ صامت علْمٌ (منك) باطنٌ مُحيطٌ، ومَواعيدُكَ الصادقةُ، ونِعَمُكَ السابغةُ، وأياديكَ الفاضلةُ، ورحمَتُكَ الواسعةُ.

إلهي خَلقتَني ولم أكُ شيئاً مذكوراً، وأنا عائذٌ بكَ وعائذٌ إليكَ، وقد ظَلمْتُ نفسي، وأنا مُقِرٌّ لك بالعبوديّةِ، مُعترفٌ لك بالربُوبيّةِ، مستغفرٌ من ذنوبي، فأسألُكَ أن تَغْفِرَ لي، يا مَن ليس كمثلِهِ شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ.

يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حنّانُ يا منّانُ، يا مَن أظهرَ الجميلَ، وسَتَرَ القبيحَ، يا مَن لم يُؤاخِذْ بالجريرةِ، ولم يَهْتِكِ الستْرَ، يا عظيمَ العفْوِ، يا حَسَنَ التجاوُزِ، يا واسعَ المغفرةِ، يا باسطَ اليدينِ بالرحمةِ والمشيَّةِ، والقدرةِ والظُلماتِ والنورِ، يا صاحبَ كلِّ نجْوى ومُنْتَهى كلِّ شكْوى، ووليَّ كلِّ حَسَنةٍ ونِعْمةٍ.

يا كريمَ الصفْحِ يا عظيمَ المَنِّ، يا مُبتدئاً بالنِّعَمِ قبلَ استحقاقِها، يا ربَّاهُ يا غياثاهُ، يا سيِّداهُ يا مَولاياهُ، يا غايةَ رَغْبتاهُ، أسألُكَ بكَ يا اللهُ ألاّ تشوِّهَ خَلْقي بالنارِ، فإنّي ضعيفٌ مسكينٌ مَهينٌ، وآتني في الدنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنَةً، وقِني برحمتكَ عَذابَ النارِ. يا جامعَ الناسِ لِيومٍ لا رَيْبَ فيه، إجمعْ لي خيرَ الدنيا والآخرةِ برحمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ.

وتقرأ اثنتي عشرة مرة: ﴿قُلِ ادْعوا اللهَ أو ادعُوا الرحمانَ أيّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الأسماءُ الحُسنى، ولا تَجْهَر بصلاتِكَ ولا تُخافِتْ بها وابْتَغِ بينَ ذلكَ سبيلاً وقلِ الحمدُ للهِ الذي لم يتَّخِذ ولداً ولم يَكُنْ لَهُ شريكٌ في المُلْكِ ولم يَكُنْ له وليٌّ من الذُّلِّ وكَبِّرهُ تكبيراً﴾ الإسراء:١١٠-١١١.

أللّهمَّ هَبْني بكرامَتِكَ، وأَتمِّ عليَّ نعمتَكَ، وألْبِسْني عَفْوَكَ وعافيَتَكَ وأَمْنَكَ في الدنيا والآخرة. أللّهمَّ لا تُسْلِمني بجَريرَتي، ولا تُخْزِني بخَطيئَتي، ولاَ تُشمِتْ بي أعدائي، ولا تَكِلْني إلى نفسي في دُنيايَ وآخرتي، أللّهمَّ إنّي عبدُكَ وابنُ عبدِكَ، وابنُ أمَتِكَ، وفي قبضَتِكَ، ناصيَتي بيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُكَ. أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ، سَمَّيْتَ به نفسَكَ أو سَمَّاكَ به أحَدٌ من خَلقِكَ أو مَلائكتِكَ ورُسُلِكَ، وباسمِكَ المخزونِ المرفوعِ في عِلْمِ الغَيْبِ عندكَ، وباسمِكَ الأعظمِ الأعظمِ، الذي هو حَقٌّ عليكَ أنْ تَستجيبَ لِمَنْ دَعاكَ به، وبكلِّ حَرْفٍ أنزلتَهُ على نَبيِّكَ موسى، وبكلِّ دعوةٍ دعاكَ بها أحدٌ من خَلقِكَ، وبكلِّ حَرْفٍ أنزلْتَهُ على مُحمّدٍ نبيِّكَ، أنْ تَستجيبَ لي، وأنْ تجعلَني في عياذِكَ وحفظِكَ وكَنَفِكَ وسَتْرِكَ وحِصْنِكَ وفي فضلِكَ. إنّكَ أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ، وأنا خَلْقٌ أموتُ، فاغفِرْ لي وارحَمْني وأعطِني سُؤْلي في دُنيايَ وآخرَتي، واغفِرْ لي ولجميعِ المؤمنينَ والمؤمناتِ والمُسلمينَ والمُسلماتِ، الأحياءِ منهم والأمواتِ.

أللّهمَّ صلِّ على مُحمّدٍ عَبْدِكَ ورَسولِكَ، واجْعلْ عَبْدَكَ ورسُولَكَ أكرَمَ خلقِكَ عليكَ، وأفضلَهُم لديكَ، وأعلاهُم مَنْزلةً عندكَ وأشرفَهُم مكاناً، وأفسَحَهُم في الجنَّةِ مَنزلاً، وآتني في الدنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنَةً وقِني برحمتِكَ عذابَ النارِ، فإنّه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بكَ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

معرفة الإمام المهدي

تأمّلات في دعاء العهد

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا (العهد) كان من أنصار قائمنا عليه السلام، فإنْ مات قبلَه أخرجه الله تعالى من قبره، وأعطاه الله بكلّ كلمة ألفَ حسنة، ومحا عنه ألفَ سيّئة».

بين يدي القارىء الكريم مقتطفٌ من حديث المرجع الشيخ وحيد الخراساني، حول دعاء العهد، ومعرفة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه بالنورانيّة، تنشره «شعائر» في حلقتين. ما يلي هو الحلقة الأولى.

معرفة الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف نوعان، معرفة لعامّة الناس أن يعرفوا إمامهم المفترض الطاعة، ومعرفة خاصّة تُسمّى معرفتُه بالنورانيّة، وينبغي التعرّف عليها من الروايات والأدعية والزيارات الصادرة عن الأئمّة عليهم السلام، والتي هي كنزٌ من المفاهيم الإسلاميّة والمعارف الإلهيّة. غاية الأمر أنّها عميقة تحتاج إلى فهم، والفهم يحتاج إلى تأمّل ومعايشة لمدرسة الوحي الإسلاميّة.

نستفيد من هذا الدعاء لمعرفة الإمام عجل الله فرجه الشريف معرفة ابتدائيّة، فواظبوا عليه جميعاً وأَوْصوا الناس أن يقرأوه بعد صلاة الصبح.

وعندما تقرأونه وجّهوا فكركم القوي الذي توجّهونه إلى المباحث العلميّة العميقة فتفهمونها، وجّهوه إلى دقائق هذا الدعاء ولطائفه.

هذا الدعاء كنز معرفة، وكلّ أدعية أهل البيت عليهم السلام كذلك، "..." فاستمعوا بدقّة لما يقوله:

«أللّهمَّ ربَّ النور العظيم، وربَّ الكرسيِّ الرفيع، وربَّ البحر المَسْجُور، ومُنَزِلَ التوراة والإنجيل والزبور، وربَّ الظلِّ والحَرُور، ومُنزلَ الفُرقان العظيم، وربَّ الملائكة المُقرَّبين، والأنبياء والمرسلين.

أللّهمَّ إنّي أسألُكَ باسمك الكريم، وبنور وجهك المُنير، ومُلكك القديم، يا حيُّ يا قيّومُ، أسألك باسمك الذي أشرقتْ به السماواتُ والأرضون "..." يا حيّاً قبل كلِّ حيّ، ويا حيّاً بعد كلِّ حيّ "..." يا حيُّ لا إلهَ إلّا أنت، أللّهمَّ بَلِّغْ مولانا الإمام الهاديَ المهديّ، القائم بأمر الله، صلواتُ اللهِ عليه وعلى آبائه

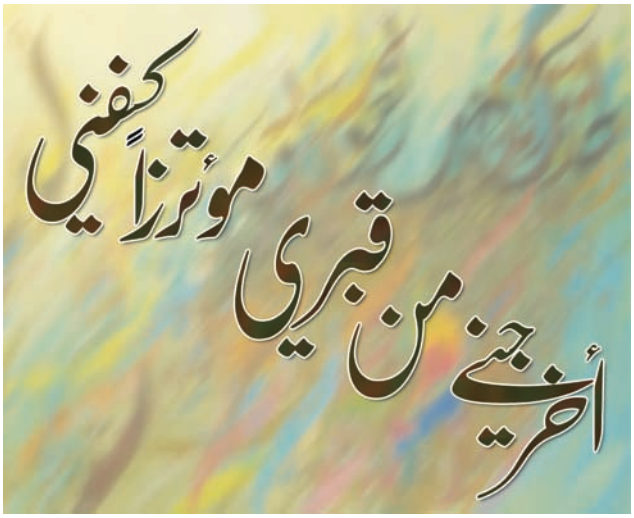

الطاهرين، عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها، سهلِها وجبلها، وبرِّها وبحرها، وعنّي وعن والديَّ وعن المؤمنين، من الصلوات زِنَة عرشِ الله، وعدد (مداد) كلماته، وما أحصاه علمُه، وأحاط به كتابُه..».

تأمّل في تسلسل فقرات الدعاء إلى هنا..

أللّهمّ ربَّ النور العظيم.. بدأ الدعاء باسم الله تعالى، وهو الأصل من أربعة أسماء هي أركان من أسماء الله تعالى، أوّلها اسم «الله»، وهو اسم الذات الإلهيّة، الحاكي عن جميع الأسماء الحُسنى والأمثال العليا. وخصوصيّات هذا الاسم مهمّة، وللدعاء به دلالات ليست في غيره، ولا يُقبل التوحيد إلّا به: «لا إله إلّا الله».

والثاني: «الـرب» وهو الاسم الحاكي عن ربوبيّته التكوينيّة

والتشريعيّة، وأفعاله في جميع نشآت الوجود الإمكاني. ولمعرفة عظمة هذا الاسم إقرأوا مثلاً هذه الآيات من سورة آل عمران:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ آل عمران:١٩٠-١٩٥.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ .. ﴾ آل عمران: ١٩٥ إلى آخر الأسرار في اسم «الرب» تبارك وتعالى.

بعد هذين الاسمين نصل إلى الاسم الأعظم للذات المقدّسة، الذي باطنه من خزائن أسرار الله تعالى، والذي ورد في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

في مطلع آل عمران: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ آل عمران:١-٣.

وفي مطلع آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ البقرة:٢٥٥.

وختامه في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ طه:١١١.

من خِصال أمير المؤمنين عليه السلام

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في عليٍّ عليه السلام خصالاً، لو كانت واحدة منها في جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً:

قوله ﷺ: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، وقوله ﷺ: «عليٌّ منّي كهارون من موسى»، وقوله ﷺ: «عليٌّ منّي وأنا منه»، وقوله ﷺ «عليٌّ منّي كنفسي، طاعتُه طاعتي، ومعصيتُه معصيتي»، وقوله ﷺ: «حربُ عليٍّ حربُ الله، وسِلْمُ عليٍّ سِلْمُ الله»، وقوله ﷺ: «وليُّ عليٍّ وليُّ الله، وعدوُّ عليٍّ عدوُّ الله»، وقوله ﷺ: «عليٌّ حجّة الله، وخليفتُه على عباده»، وقوله ﷺ: «حبُّ عليٍّ إيمان وبغضُه كفر»، وقوله ﷺ: «حزب عليٍّ حزبُ الله، وحزبُ أعدائه حزبُ الشيطان»، وقوله ﷺ: «عليٌّ مع الحقّ والحقُّ معه، لا يفترقان حتّى يَردا عليَّ الحوض»، وقوله ﷺ: «عليٌّ قسيم الجنّة والنار»، وقوله ﷺ: «مَن فارق عليّاً فقد فارقني، ومَن فارقني فقد فارق الله عزّ وجلّ»، وقوله ﷺ: «شيعةُ عليٍّ هم الفائزون يوم القيامة».

النَّوافل

صلوات يوميّة مستحبّة

الفقيه الشيخ جعفر كاشف الغطاء

جاء في الحديث القدسي: «ما تقرب إليّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي المؤمن يتنفّل حتى أحبّه، ومَن أحببتُه كنتُ له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيِّداً، إنْ سألني أعطيتُه، وإنْ دعاني أجبتُه».
تقدّم «شعائر» أحكام النوافل من كتاب (كشف الغطاء) للفقيه الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره.

النوافل كلّها ثنائيّة كهيئة الفريضة الثنائيّة، إلّا أنّها لا يجب فيها سورة بعد الفاتحة، ويجوز تبعيضها وقرانها والعدول منها إلى غيرها من أيّ سورة شاء، توحيداً أو جُحُداً أو غيرهما وفي أيّ وقت شاء.
ويُستحبّ فعلها وإكمالها والقرآن فيها، **ولا يُخلّ بها:**
١- الشكّ بين الواحدة والإثنتين، بل يتخيّر بين البناء على الأكثر وهو الأفضل، و(بين) البناء على الأقلّ وعدم تعيين الاستقرار إذا لم يكن في محلّ قرار.
٢- ولا الاستقبال ولا السجود بالجبهة وباقي المساجد، بل يُكتفى بالإيماء.
٣- ولا رفع المسجد (ما يُسجد عليه) بل يُكتفى بإيماء الرأس، ولو تعذّر فبالعينين، وهذا على طريق الرخصة دون العزيمة. فلو تمكّن من الركوع أو السجود على الوفق وفعل جاز على الأقوى. فتصحّ ركوباً في سفينة، أو على حيوان، ومشياً وعدْواً في أحد الوجهين مع الاختيار، ولا القيام مع الاستقرار فيجوز الجلوس دون الاستلقاء، والاضطجاع على أحد الجنبين اختياراً في أقوى الوجهين.
٤- ولا الكون في غير الكعبة، وفي تخصيص الأحكام بغير ما وجب بالالتزام وجه قويّ، (المراد هو استقراب أن تكون هذه الأحكام الخاصّة بصلاة الليل، خاصّة بما إذا لم تجب صلاة الليل بالالتزام بنذر أو قضائها عمّن كان قد أوجبها على نفسه وغير ذلك).
٥- ولا سجود السهو، ولا عمل الاحتياط، ولا قضاء الأجزاء المنسيّة، ولا جهر ولا إخفات، والظاهر أنّها لاحقة للذات لا لخصوص النّدب (أي الظاهر أنّ هذه الأحكام الخاصّة بصلاة الليل، هي لكلّ صلاة ليل، سواء وجبت بنذر أو غيره، أم لم تجب).
وكلّها فيها القنوت قبل الركوع واحدة، أو ثنائيّة شفعاً أوْ لا، قبل الركوع، وروي في الوتر قبله وبعده، ولا تزيد على ركعتين.
ويُستحبّ في أوّل ركعة منها التعوّذ، وأكمَلُه «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، والتوجّه بقول ﴿.. وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ..﴾ الأنعام:٧٩، إلى آخرها، وقراءة السوَر القصار في نوافل النهار ونافلة المغرب، والمطوّلات في نوافل الليل (والجهر في نوافل الليل)، والإخفات في نوافل النهار.
وقراءة الجحد في الأولى من نوافل الزوال ومن نوافل المغرب ومن نوافل الليل، وقراءة الإخلاص ثلاثين مرّة في أُوليَي صلاة الليل، وفي كلّ واحدة من رَكعتي الشفع بعد الحمد ثلاث مرات سورة الإخلاص، وفي ركعة الوتر بعد الحمد سورة الإخلاص ثلاثاً، والمعوّذتين مرّة مرّة. وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقرأ في الثلاث تسع سور، في الأولى التكاثر والقدر والزلزلة، وفي الثانية العصر والنصر والكوثر، وفي الثالثة الجحد وتبّت والتوحيد. ورُوي في الأولى من الشفع سورة الناس وفي الثانية الفلق، وفي الوتر قل هو الله أحد ثلاثاً والمعوّذتين. ورُوي أنّ «**تقصير الفريضة وتطويل النافلة من العبادة**»، وأنّ من العجب قبول صلاة مَن لم يقرأ (إنّا أنزلناه) في صلاته، وأنّه ما زكت صلاة من عبدٍ لم يقرأ في صلاته فيها بـ (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ).
وفي خصوص اليوميّة، رُوي أنّه مَن مضى عليه يوم واحد صلّى فيه الصلوات الخمس ولم يقرأ التوحيد في شيءٍ منها، قيل له: «**يا عبد الله لست من المصلّين**»، وفيها دلالة على رجحانها في النوافل، وتُستحبّ الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله مائة مرّة بين نافلة الفجر وفريضتها، ويُستحبّ بعد الفراغ من استغفار الوتر قول: «هذا مقام العائذ (بك) من النار» سبع مرات. ورُوي إدخال صلاة جعفر في نافلة الليل، فتدخل قراءتها وأذكارها فيها. ومن شرائطها الاستقرار في جميع أحوالها، ويتضاعف الحكم حال الإتيان بأقوالها وأفعالها من قراءة وذكر وركوع وسجود وتشهّد وتسليم ونحوها. ويعتبر [الاستقرار] في الهُوِيّ بالنسبة إلى ما زاد من حركته (أي ينافي الاستقرار، ما زاد عَمّا يقتضيه الهُوِيُّ من حركة)، فلو تحرّك لسبب، سكت عن أقواله وتعمّد المفضول من أحواله "..".

ذكر الله لا حدّ له

قوتُ الأرواح

إعداد: عبد الله النابلسي

*** عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكرُ الله كثيراً. لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، وإنْ كان منه، ولكنْ ذكرُ الله عند ما أحلّ وحرّم»، أي الذكر القلبيّ المحض. بين يدي قرّاء «شعائر» توجيهات لشيخ الفقهاء العارفين الشيخ بهجت قدس سره في مجال حقيقة ذكر الله تعالى.**

لكلّ عملِ خيرٍ حدٌّ مطلوبٌ له، إذا تجاوزه انقلب إلى ضدّه: يعني إذا أتى به المرء دون الحدّ المطلوب عُدَّ مقصّراً أو قاصراً، وإذا أتى بأكثر منه ابتُلي بالمشقّة، إلى أن يصل إلى الحدّ الذي يكون معه غير ممكن ولا مقدور للبشر كالصلاة، فإنّ بدن الإنسان لا طاقة له على كثرة أداء الصلاة [المُستحبّة]، أو أنّها تزاحم خيراتٍ أخرى فتتسبّب في فواتها، بنحو لا يستطيع الإنسان أن يأتي بمثلها لو مضى وقتها. وعلى هذا النحو جميع الخيرات والطاعات إلاّ «ذكر الله تعالى» فهو لا حدّ له، كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من شيء إلّا وله حدٌّ ينتهي إليه، إلّا الذكر فليس له حدٌّ ينتهي إليه**».

حقيقة الذكر

وطبعاً ليس المقصود بذكر الله الذكر اللّساني؛ لأنّ أعضاء الإنسان تُصاب بسببه أيضاً بالملل والضعف والعجز، بل ذكر الله الذي لا حدّ له هو الأعمّ من الذكر القلبي واللّساني والبدني أيضاً؛ لأنّ جميع الطاعات وما يُرضي الله تعالى هي ذكر له سبحانه، وهذا النحو من الذكر يجتمع مع جميع الطاعات ويتحقّق معها، كقضاء الحوائج وأداء الواجبات، بل وإتيان المستحبّات التي هي عند أهلها ذكرٌ لله تعالى، بل ترك المكروهات والمحرّمات ذكرٌ لله أيضاً، وقد جاء في ذلك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكرُ الله كثيراً. لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، وإنْ كان منه، ولكنْ ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم**»، أي الذكر القلبيّ المحض.

فهل «سبحان الله» ونحوها أشدّ تذكيراً بالله واقعاً؟ أم كلمة يوسف عليه السلام حيث يقول: ﴿..مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف:٢٣. فالأمر كان منتهياً لولا ذلك، حيث يقول القرآن: ﴿..وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ..﴾ يوسف:٢٤، فهل كان جميع هذا باختياره أم أنّ الله تعالى هو الذي حفظه؟ ما الذي قام به؟ فهل قام بشيء أكثر من أنّه رأى برهان ربّه؟ وطبعاً فإنّه قد أتى بآلاف الأعمال قطعاً قبل هذا، حتى استطاع أن يحصل على أسباب برهان ربّه في أوقات الخلوة، وليتمكّن من رؤية برهان الربّ في ذلك الظرف الحسّاس.

ذكر الله تعالى كيمياء السعادة

إنّنا نحبّ إمام الزمان عجّل الله تعالى له الفرج، لأنّه أمير النحل، وجميع أمورنا تصل بواسطته، وقد نصّبه النبيّ صلى الله عليه وآله لنا أميراً. ونحن نحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّ الله جعله واسطة بيننا وبينه. ونحبّ الله تعالى، لأنّه منبع جميع الخيرات، ووجود المُمكنات فيضُه.

فإذا كنّا نريد أنفسنا وكمالها، علينا أن نكون محبّين لله تعالى، وإذا كنّا محبّين لله عزّ وجلّ، فعلينا أن نكون محبّين لوسائط الفيوضات من الأنبياء والأوصياء. وإلاّ، فإمّا أنّنا لا نحبّ أنفسنا، أو لا نحبّ واهب العطايا، أو لا نحبّ وسائط الفيوضات. **فكيمياء السعادة إذن ذكر الله جلّ شأنه**، وهو يُحرّك الإنسان نحو موجبات السعادة المطلقة، والتوسّط بالوسائط استفاضة من منبع الخيرات بواسطة وسائلها المقرّرة، فعلينا الاهتداء بهداياتهم والسير بقياداتهم لننال الفلاح.

الخبير في مجال الطاقة د. بسّام التّقي في حوار مع «شعائر»:

الطاقة وجود وحياة وتطوّر

حوار: سليمان بيضون

في هذا اللقاء، تحاور «شعائر» الدكتور بسام التّقي، الخبير في مجال الطاقة والطاقة البديلة، والحائز على درجة الدكتوراه بإدارة الطاقة من جامعة Rochville في الولايات المتحدة، وقد ساهم في تخطيط وتنفيذ مشاريع كبرى، خصوصاً في شمال أفريقيا. وله العديد من الدراسات المتخصّصة بالطّاقة وأشكالها وسُبل الإفادة القصوى منها. في حوارنا معه سوف نتعرّف على أبرز مظاهر الطاقة ومجالات استخدامها وآليات التوفير فيها.

*** ماذا نعني بالطاقة، وما هي مصادرها في الطبيعة؟**

الطاقة تعني الكثير، تعني الحياة، الوجود، الحركة، الإستمراريّة والتطوّر، بل تعني قصّة تشكُّل الكون بعد قول الله تعالى «كُن» فكان كما أراد الله عزَّ وجلَّ له أن يكون. وشاء الله تعالى بتقديره وعلمه وتفضُّله على مخلوقاته، أن تتحوّل هذه الطاقة من شكلٍ إلى آخر وَفق قوانين سنّها الله لها، وسخّرها لتكون لنا آية وعبرة.

يجدر القول أنّ الكون الذي نعيش فيه هو مادّة وطاقة، فالمادة هي الأشياء الملموسة، مثل المعادن، والذرّات، والماء، والهواء. والطاقة هي الأشياء غير الملموسة، مثل الضوء، والحرارة، والصوت، والأشعّة.

وقد أدرك العلماء أشكالاً كثيرة من الطاقة، وجميعها عبارة عن موجات تتحرّك بشكل ما. فالضوء الذي نرى بواسطته الأشياء، هو موجات «كهرطيسية» لها طاقة محدّدة لكنّنا لا نراها. أمّا الصوت الذي نسمعه ونتواصل بواسطته، فهو موجات «ميكانيكية» تنتقل في الهواء، ولها طاقة محدّدة ولا نراها. وكذلك أيّ عمل نبذله هو عبارة عن طاقة.

إذاً الحقيقة العلميّة هي أنّ كلّ ما في الكون يتألّف من ذرّات، وبما أنّ الذرّة تهتزّ، فإنّ كلّ شيء من حولنا يهتزّ وينشر حوله مجالاً من الطاقة.

*** ما المقصود بالطاقة البديلة؟**

هي الطاقة المجّانية الموجودة في الطبيعة، والمُهداة من الخالق سبحانه وتعالى. هي الطاقة المتجدّدة والنظيفة، الخالية من الإحتراق، والتي هي صديقة للبيئة. أهمّها الطاقة الشمسية، التي حَظِيت بأوسع اهتمام في أرجاء العالم، بسبب ضخامة كمّيات

د. بسّام التّقي

الطاقة التي تُرسلها إلى الأرض، وبسبب تعدّد أشكال استعمالها. وتأتي طاقة الرياح في المرتبة الثانية، وهي تتوفّر على مستوى العديد من دول العالم. وهناك أنواع أخرى، كالطاقة الحراريّة في جوف الأرض «جيوحرارية»، وطاقة المدّ والجزْر، وهي تأخذ طابعاً موضعيّاً، أي في أمكنة حصول المدّ والجزر. ناهيك عن طاقة غاز «الميثان» المُنتَج من مخلّفات الحيوانات، والقُمامة، والنفايات.

*** إذاً الشمس من أوّل مصادر الطاقة البديلة، ما هي مجالات الإفادة منها؟ وهل يُمكن تخزينها؟ وإلى أيّ مدىً جرى استثمارها؟**

الشمس مصدر طاقة الحياة على كوكبنا، وقد أدرك الإنسان أهمّيتها منذ القِدم، فراح يعمل على كشف المزيد والمزيد من الحقائق المحيطة بها. ويُستفاد من الطاقة الشمسية بتسخين المياه وتبريدها، ويُستفاد من أشعّتها بتشغيل الأفران الشمسيّة،

لأغراض الطبخ، أو لصَهر المعادن. ومن جهة أخرى بالإمكان صنع محرّك بُخاريّ، وخاصّة إذا كان المجمع الشمسيّ يدور حول محور عاموديّ لمتابعة حركة الشمس.

كما يمكن الاستفادة من الطاقة الشمسية، بتشغيل جهازٍ لتقطير المياه، والحصول على مياه عذبة، وأيضاً يُمكن توليد الكهرباء مباشرة من أشعّة الشمس، وذلك باستعمال الخلايا الشمسيّة «فوتوفولتيّة»، وتتميّز هذه الطاقة بمرونتها الواسعة، وإمكانيّة تحويلها إلى أشكال أخرى من الطاقة، كالطاقة الحراريّة، والميكانيكيّة، وهي طاقةٌ نظيفة.

هذا ويمكن أن تُخزَّن الطاقة الكهربائيّة المُنتجَة في بطّاريّات صناعيّة، أو المياه الساخنة في خزّانات ذات عزل جيّد للحرارة، لاستخدامها عند الحاجة.

كما يستفاد من الشمس بتجفيف المحاصيل في بعض المناطق الريفيّة، حيث لا تتوفّر مراوح دفع الهواء، ولا الطاقة الكهربائيّة.

*** الرياح من مصادر الطاقة البديلة، هل من شروط يجب أن تتوفّر لإمكانيّة الإفادة منها؟**

حقل «توربينات» هوائيّة

من شروط الإفادة من الطاقة البديلة وجود أماكن مثاليّة أو جيّدة لحركة الرياح، وهذه الأماكن تُعتَبر أماكن استراتيجيّة في المستقبل، لأنّ الرياح هِبات ونِعَمٌ من الرحمن عزّ وجلّ، تحمل طاقات نظيفة، بشرط استغلالها بالصورة السليمة. من هنا فإنّ زرع «التوربينات» الهوائيّة في الأماكن المناسبة، وربطَها على الشبكة العامّة ضمن الأصول والقواعد الفنيّة، هما بمثابة مشروع إنتاجيّ ناجح، وله فوائد فنيّة جمّة.

*** استُخدم الماء منذ القِدَم عبر بناء السدود وإدارة النواعير، ما هي أشكال الاستفادة من هذا المصدر حاليّاً؟**

استعملت المياه في تشغيل النواعير العموديّة والأفقيّة، وتوسّعت لتشمل ضخّ المياه وتشغيل آلات نشر الأخشاب وطحن الحبوب. ويرتبط هذا المفهوم أيضاً بمحطّات توليد الطاقة الكهربائيّة،

سدّ على مجرى أحد الأنهار

ويترافق معها بناء السدود وتكوين بحيرات اصطناعيّة لحجز مياه الأنهار، وضمان توفير كميّات من الماء تكفي لتشغيل محطّات الطاقة بشكل دائم. وتعتمد كميّة الإنتاج على مقدار كميّة الماء، وعلى ارتفاع مساقط المياه، فكلّما ارتفعت قيمة أيٍّ من العاملَين ارتفعت قيمة الطاقة الكامنة. ومن الطبيعيّ أنّ هذا النوع من المحطّات يحتاج إلى خصائص «طوبّوغرافية» ملائمة لإقامة السدود.

وممّا لا شكّ فيه أنّ حساب كميّة الطاقة والاستفادة منها ليسا بالأمر السهل، لاعتمادهما على عدّة عوامل، منها: كميّة الأمطار المتوفّرة، وارتفاع المساقط، وكيفيّة نقلها وغير ذلك.

*** ماهي نسبة النجاح في مجالات الطاقة البديلة، ولماذا لم تحلّ محلّ الطاقة التقليديّة على نطاق واسع؟**

ارتفعت وتيرة الاهتمام بالأبحاث عن الطاقة البديلة، وتزاحمت أفكار ودراسات في شأنها، حقّق بعضها درجات مختلفة من النجاح. ففي آب ٢٠١٠ أصدرت الولايات المتحدة قانوناً حمل رقم (15-25) لتشجيع إنتاج الطاقة المتجدّدة، وذلك بواسطة تقديم حوافز لاستخدامها. ويقول «كارل شولتش» وهو خبير ماليّ لشركات الطاقة في لندن، أنّ هناك طلباً كبيراً من المستثمرين الراغبين في موافقة الأمم المتّحدة على مشروعاتهم المختصّة بالطاقة الخضراء، وقد تأكّد للجميع أنّ المسألة ليست مرتبطة بتغيير أسعار النفط، بل تتعلّق بقدرة المخزون الاحتياطي والقابل للنفاد بحكم الطلب المتزايد على الطاقة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الطاقة البديلة لم تحلّ محلّ غيرها، لأنّ الوقود «الأحفوري» أقلّ تكلفة وأكثر إنتاجاً للطاقة، ولأنّ التحكّم بمصادر الطاقة التقليديّة ليس بالصعب. غير أنّ طاقة الرياح مثلاً غير منتظمة في توفّرها، وتتغيّر سرعتها بشكل كبير، وخلال فترات قصيرة جداً. والأمر شبيهٌ بما يحدث للشمس، فهي متغيّرة المسارات، ودوامها في النهار فقط.

لكن، وعلى الرغم من ذلك، لا مفرّ من اللّجوء إلى الطاقة المتجدّدة على وجه السرعة، ومن خلال استغلال نعمتَي الرياح والشمس، مردُّ ذلك إلىٰ ندرة الموارد الأوليّة في لبنان وفي كثيرٍ من بلدان العالم، وشحّ المياه، وارتفاع أسعار النفط والغاز عالمياً، مع ملاحظة أنّ لبنان يستورد أكثر من ٩٥٪ من احتياجاته الطاقوية على شكل مشتقّات نفطيّة، وما زال عاجزاً عن تلبية الأحمال الكهربائية القديمة والحاضرة، ناهيك عن الأحمال المستقبليّة التي ستكون أضعافاً مُضاعفة.

لذلك، لا بدّ من خطّة وطنيّة لاستثمار الطاقات البديلة المُتاحة، وهي غير قليلة. ويُفترض بهذه الخطّة الوطنيّة أن تُراعي المعايير العالميّة لناحية مستوى الأداء، ودرجة الكفاءة، والتشغيل الإقتصادي، إضافةً إلى المعايير الفنيّة الدقيقة، من قبيل عدم فصل المولّدات عن الشبكات وعن المحوّلات، وعدم استخدام الطاقة المتجدّدة بالحجم الكبير وربطها مع الشبكة العامة ما دامت هذه الأخيرة ضعيفة.

*** أوليتم عناية خاصّة بمسألة توفير استهلاك الطاقة، لو تُعطون القارىء فكرةً عن أهميّة ذلك؟**

حقل خلايا شمسية

في السبعينيّات من القرن الماضي، **كان استهلاك الطاقة الكهربائيّة بمثابة وسام تمدُّن ورقيّ للدول الحضاريّة، ولكن بعد إنذار الطبيعة وصرختها، صار معيار التقدّم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتوفير استهلاك الطاقة**. وهناك بصماتٌ لتجارب كثيرة في هذا المجال، داخل لبنان وخارجه، وعلى أنواع مختلفة من الأحمال، مثل المطاحن والكسّارات، ومعامل البلاستيك والمستشفيات، إلخ...

إنّ آخر مشروع تمّ إنجازه في هذا المجال كان لأحد المجمعات التجارية الكبرى في منطقة الجناح في بيروت، وكان هذا المشروع سابقة نوعية، نال المشروع اهتمام المختصّين داخل لبنان

البرق و الرعد مصدر أساسي «للآزوت»

وخارجه. وقد استغرق حوالى السنة من العمل، تمّ فيها محاكاة الأحمال بأنواعها وأحجامها ومواقعها، وأخذُ القياسات بشكل دوري، ومراقبة شكل وحركة الموجة الكهربائيّة. كذلك تمّ تركيب أجهزة توفير بشكل دقيق، وقد وُزّعت بشكل هندسي مدروس ومحكم، يناسب هيكليّة الشبكة والأحمال، بحيث ارتفعت كفاءة المنظومة بشكل عام، ناهيك عن استبدال ٧٦٠٠ مصباح كهربائي ذات الإنارة الأفضل والأوفر من المصابيح القديمة، ويجري إطفاؤها أوتوماتيكيّاً حال عدم لزومها، وهذه النقاط مجتمعة أدّت إلى إلغاء مولّدَين، قدرة كلّ واحدٍ منهما ٧٥٠ ك.ف.أ. وبهذا تجاوزت نسبة التوفير ٤٠٪. وعليه، فإنّ **ترشيد استهلاك الطاقة، هو الوقود الخامس**. ومن الضروري اعتماد هذا الترشيد، لأنّه يساهم بمواجهة الاحتياجات لبناء محطّات الإنتاج وشبكات النقل والتوزيع، وكلّها موارد وطنيّة، ومن الواجب الحفاظ عليها. كما أنّ من الواجب أيضاً رفع درجة الوعي لدى المستهلك، ليُدرك قيمة المادّة التي يستهلكها، خصوصاً تلك التي تُصرف في غير الأوجه المفيدة، والتي لا تجلب له منفعة حقيقيّة باستهلاكه لها. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإنّ توفير ١٥٪ من أحمال المنازل في لبنان، يؤجّل إنشاء محطّة توليد لمدّة سنتين وأكثر.

*** ما مدى صحّة الفكرة القائلة بأنّ البرق والرعد يُسهمان في مدّ الكرة الأرضية بالطاقة؟**

تبلغ قوّة ومضة البرق نحواً من ١٠٠ ميغافولت و٢٠ كيلوأمبير، الأمر الذي دفع العلماء اليوم إلى محاولة الإستفادة منها. وما نعرفه عن الشقيقين (البرق والرعد)، أنّهما يُغذّيان الأرض بالآزوت، وإنبات أنواع مختلفة من الفطريات والكمأ، كما يُساهمان في التوازن البيئي، وكلّما ازداد الخلل في الطبيعة من فعل

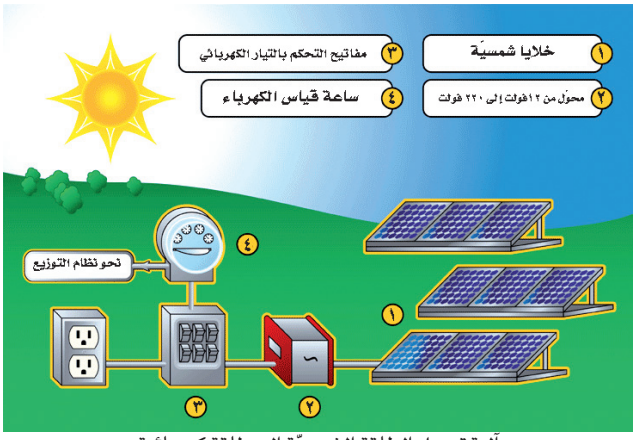

آلية تحويل الطاقة الشمسيّة إلى طاقة كهربائية

الإنسان، ازداد البرق والرعد تكراراً وقوّة ليساعدا الطبيعة في عودتها إلى نقطة الاتّزان.

*** أشرتم في البداية إلى أنّ الكون عبارة عن مادّة وطاقة، ونعلم أنّ لكم رأياً خاصّاً حول انبعاث الطاقة في فترة ما بين الطلوعين، وأنّها الفترة المثالية للجسم البشري ليحظى بنصيبه من هذه الطاقة المتدفّقة، حبّذا لو شرحتم لنا ذلك؟**

الطاقة الفيزيائيّة التي يدرسها العلماء قابلة للقياس والكشف بواسطة الأجهزة، أمّا الطاقة الكونيّة فهي غير قابلة للقياس بالوسائل المُتاحة.

وقد وجد العلماء أنّ كلّ خليّة من خلايا الجسم لها اهتزازات محدّدة، وتتأثّر بالاهتزازات الأخرى سلباً أو إيجاباً. فالخليّة تتأثّر بالصوت لأنّه عبارة عن اهتزازات ميكانيكيّة، وتتأثّر بالحقول المغناطيسيّة لأنّ هذه الحقول عبارة عن اهتزازات كهربائيّة ومغناطيسيّة وهكذا.

والجدير بالذكر، أنّ الذرّة التي هي أدقّ مكوّنات العناصر التي خلق الله تعالى منها مادّة الكون المنظور وغير المنظور، تتكوّن من النواة في الوسط وشحنتها موجبة، وتدور حولها جُسيمات سالبة تُسمّى الواحدة منها «إليكترون»، هذه الإليكترونات تدور حول النواة بسرعة فائقة جدّاً ينشأ منها اهتزاز أو ذبذبة عالية جدّاً، وتتفاوت سرعتها من عنصر إلى آخر، فالكون يهتزّ من حولنا بدرجة عالية ولكنّها ثابتة.

ويعجّ الكون الفسيح بإشعاعات طويلة تصل إلى ١٠٠ ألف كيلو متر تنطلق في الإتّجاهات كافّة، وهي ذات طاقة «كهرومغناطيسية» نابعة من اهتزاز العناصر في الكون، وثبت **أنّ الوقت الذي نستطيع فيه توفير قدر أكبر من هذه الإشعاعات هو بين الطلوعين.**

ومن جهة أخرى ثبت أنّ الدّماغ البشري نفسه يبعث بأمواج كهربائيّة بمعدل ٢٠٠٠ ذبذبة في الثانية الواحدة، وهذه طاقة على شكل إشعاعات غير منظورة. وبناءً عليه، يُمكن أن نفسّر إحساساتنا بدلالة الذبذبات. وأوّل من أثبت ذلك علمياً هو د. والتر كيلنر الذي كان يعمل بمستشفى «توماس» بلندن، والذي تحدّث عن وجود «الهالة» أو «الحقل الطاقوي» المحيط بالإنسان، وقد نشر كتاباً بهذا الخصوص في سنة ١٩٢٠م سمّاه (الغلاف البشري).

اذاً أصبحت صحّة الإنسان تعتمد على مدى انسياب الطاقة الكهرومغناطيسية خلال جسمه، ويعني ذلك أنّ تعثّر هذا الإنسياب سيؤدّي بالضرورة إلى اعتلال الجسم البيولوجي.

لذلك نقول إنّ الإستفادة الأفضل من فترة ما بين الطلوعين تساعد على بقاء النوع الإنسانيّ -الروح والجسد معاً- في حالة صيانة دائمة على مدار اليوم، عبر تجديد الطاقة، وإزالة أثر الضغوط التي يتعرّض لها الإنسان في حياته اليوميّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ..

الرعد (١٣)

المنهج الوحدوي للإمام كاشف الغطاء
كلمة التّوحيد، وتوحيد الكلمة

الشيخ محمّد جاسم الساعدي

مقاربة الباحث الإسلامي الشيخ محمّد جاسم الساعدي، لمنهج الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هجريّة) حول الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، تكشف موقع هذه المَنهجيّة التأسيسيّة للمساعي الرّاهنة لتحقيق وحدة المُسلمين في مواجهة أخطار الفتنة والتّنازع، والغزو الإستعماري.

لا يخفى دور رجال الإصلاح وروّاده في نشر الفكر الوحدوي والإصلاحي في الأوساط الفكريّة والثقافيّة الإسلاميّة على أكثر من مستوى. ومن أبرز هؤلاء الكبار الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء. فهو تميّز بنبوغه ونشاطه العلمي، وكان يتمتّع بالذكاء الحادّ والألمعيّة الوقّادة، وحصل على قسطٍ وافرٍ من العلم والفضل، وكرّس ذلك في خدمة الإسلام والمسلمين، ولا سيّما في ميدان الوحدة والتقريب.

في دعوته إلى الوحدة يقول الشيخ كاشف الغطاء: «كلّ ذي حسٍّ وشعورٍ يعلم أنّ المسلمين اليوم بأشدّ الحاجة إلى الإتفاق والتآلف وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف، وأن ينضمّ بعضهم إلى بعض كالبنيان المرصوص، ولا يدَعوا مجالاً لشيء ممّا يثير الشحناء والبغضاء والتّقاطع والعداء».

وقد بارك وأثنى على كلّ خطوة تدعو إلى الإتحاد والتّقريب. فمِمّا قاله في رسالةٍ له إلى دار التّقريب بالقاهرة، وجّهها إلى فضيلة العالم الجليل الشيخ محمود شلتوت: «لقد اطّلعت على كلمةٍ لكم في بعض الصحف كان فيها لله رضىً وللأُمّة صلاح، فحمدناه تعالى أنّه جعل في هذه الأُمّة وفي هذا العصر مَن يجمع شمل الأُمّة، ويوحّد الكلمة ويفهم حقيقة الدّين، ويزيد الإسلام لأهله بركةً وسلاماً. وما برحنا منذ خمسين عاماً نسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وندعو إلى وحدة أهل التوحيد».

وعلى هذا النحو، طلب الشيخ من العلماء والمفكّرين والمثقّفين أن يبحثوا بحثاً موضوعيّاً بعيداً عن التراكمات وردود الفعل النفسيّة التي خلقتها الفُرقة المذهبيّة. وكذلك طلب منهم أن يعملوا بكلّ جدٍّ وإخلاصٍ على تهدئة الجوانب العاطفيّة المُتأجّجة في الوسط الشعبي، وأن يوضّحوا للأُمّة أنّ الخلافات ما هي إلّا اجتهاداتٌ اقتنع بها كلُّ مجتهدٍ من خلال اجتهاده، ذلك أنّ المجتهد قد يخطئ وقد يُصيب.

وقد التقى الإمام كاشف الغطاء علماء مصر والشام والمغرب العربي وإيران والهند وباكستان والحجاز والخليج، فقام بإقرار العلاقات الوديّة والأخويّة بين الجميع، وخفّف من النزاعات، وعرّف الأُمّة بحقيقة الإسلام بعيداً عن المنحى الطائفي والتعصُّب العِرقي أو المذهبي، وبذلك أوجد المناخ الإئتلافي بين مختلف الطبقات الإسلاميّة.

في رسالةٍ له إلى الشيخ محمّد بشير الإبراهيمي (باحث إسلامي من العراق) يقول: «ولا سعادة لهم [أي للمسلمين] إلّا بالاتّفاق وتوحيد الكلمة، ومن كلماتي المؤثّرة ما قلته في مؤتمر فلسطين قبل أكثر من عشرين سنة: إنّ الإسلام بُنِيَ على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة. ولو أنّ المسلمين تدبّروا آيةً واحدة من كتاب الله العظيم، وهي قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام:٦٥، لو تدبّروها لَكَفتهم حافزاً على

جمع الكلمة وعدم التأثُّر بالخلافات المذهبيّة والنّعرات الطائفيّة. أتُرى –يا أخي– يأتي الله بيوم للمُسلمين يجمع به كلمتهم ويُحقّق وحدتهم، فيكونوا شيعةً واحدة أو سُنّةً واحدة، أو السُنّة والشيعة متّفقة؟! إذ ذاك ما أتمنّاه وما هو على الله بعزيز».

كما يقول –أيضاً– في جملة كلام له في المؤتمر العالمي الإسلامي المنعقد في القُدس الشريفة سنة ١٩٣١م:

«إنّ من الغرائز التي استحكمت في نفوسنا وتوارثناها في قرونٍ بعيدة –وهي التي قضت علينا ولم نستطع إلى اليوم أن نقضي عليها– غريزة الشقاق والخلاف بيننا، خلافاً لِما أمرنا الله سبحانه به من الوحدة والألفة، وما عقده جلّ شأنه في أعناقنا من الأُخوّة والولاء: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ..﴾ التوبة:٧١، ومعلوم أنّ اختلاف الآراء وحريّة الفكر ناموسٌ من نواميس البشر، وفِطرةٌ فطر الله الناس عليها: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب:٦٢، ولكنّ الرزيّة وقاصمة الظَّهر جعْلُ الإختلاف في الرأي سبباً للعداوة وآلة لقطع وشائج الأُخوّة وأواصر القربى، ولا ريب في أنّنا مُسلِمون موحّدون قبل كوننا سنيّين أو شيعيّين أو زيديّين أو شافعيّين، وهذه الطرائق المتأخّرة حدوثاً وزماناً ورتبةً لا تُوجب قطع رابطة الإسلام المُحكَمة فيما بيننا:

ما ذا التّقاطع في الإسلام بينكمُ وأنتُم –يا عباد الله– إخوانُ.

وقد كانت الصّحابة –رضوان الله عليهم– لا سيّما بعد رحلة صاحب الرسالة، يختلِفون في كثير من الفروع، ولكلٍّ رأيه. وقد شاعت اختلافاتهم في مسائل مهمّة، كالمسح أو الغسل في الوضوء، وفي العول والتّعصيب في الميراث، وفي المتعة والمهر في النكاح، وهكذا إلى كثيرٍ من المسائل، ولكن ما أوجب شيء من ذلك صدعاً في وحدتهم ولا تفريقاً في كلِمتهم، بل كانوا يُصلُّون بصلاةٍ واحدةٍ، ويقتدي بعضهم ببعضٍ، ولا يطعن بعضهم في إيمان بعضٍ، ولذلك ملكوا في الإسلام شرق الأرض وغربها في نصفِ قرنٍ. فمن الواجب المُحتَّم على كُلّ مسلم –لا سيّما القادة والعلماء في مثل هذه الأوقات العصيبة– بذل الجهود إلى ضمّ المسلمين بعضهم إلى بعضٍ، ونشر الإلفة فيما بينهم، كما أراد الله سبحانه ورسوله، وأمر به كتابه.

وليس معنى تلك الأُخوّة أن تدعو السُّني أن يكون شيعيّاً أو الشيعي ليكون سُنيّاً، فإنّ هذا منافٍ للحكمة، ومصادم لسُنّة الله في خلقه، بل لكلٍّ رأيه وما يعتقده، ولكن معنى الدّعوة إلى الوحدة أن لا نجعل تلك الخلافات أداةً للتفرِقة، ومِعولاً للتمزيق، وسبباً للتشاحن والتطاحن والعداوة والبغضاء بين الأخوين ....

فيا أيّها الأعلام، ويا زُعماء الإسلام، الله الله في هذه القضيّة! فإنّها قضيّة جوهريّة، فليبذل كلّ واحدٍ منّا جهده في نشر هذه الروح الطيّبة، وبثّ تلك التعاليم المُقدَّسة، عسى أن يكوِّن الله سبحانه من المسلمين –بفضل مساعيكم– أُمّةً تهُزُّ العالم ثانياً كما هزّته أوّلاً، بل أقول ثانياً ولا أخشى ان أكون مغالياً، تُصلح العالم عوداً كما أصلحته بدءاً».

الوحدة وفضيلة الإختلاف

وقد بيّن الشيخ أنّ الإختلاف طبيعةٌ من طبائع هذا الكون، وأنّ اختلاف الآراء من أدقّ نواميسه وأقوى قاعدة لحفظ نظام العالم، وأنّ الوحدة التي ندب إليها القرآن الكريم ليست هي وحدة الآراء والمذاهب، فهذا أمر مستحيل بحسب الطّبيعة البشريّة، ومعطِّلٌ لأكمل المواهب، وأيّ موهبةٍ أشرف من موهبة حريّة الآراء وعدم الحجر على العقول وإخماد جذوة الذكاء والفهم والتنقيب؟!

كذلك بيّن الشيخ كاشف الغطاء أن المُراد بالوحدة المندوب إليها هي الوحدة الأخلاقيّة، والوحدة الإيمانيّة، وحدة الإخاء والمودّة؛ وذلك بأن لا يكون اختلاف الآراء سبباً للتباعد والتباغض والجفاء والعداء، بل يأخذ الأطراف بالمَثَل الأعلى والقُدوة الحسنة من خيار الصّحابة في صدر الإسلام، فقد كانوا –والحال على كثرة ما بينهم من الاختلاف في القضايا الفرعيّة والمسائل العلميّة– على أكثر ما يرام من الإخاء والصفاء، كأنّ الإسلام جسد وهم أعضاء ذلك الجسد المقدّس، تجمعهم روح إيمانية واحدة، هي روح المبدأ المُقدّس والتضحية بكلّ عزيز في سبيله.

وذكر أيضاً أنّ المسلمين لا يزالون يتعلّقون بحبال الآمال ويكتفون بالأقوال عن الأعمال، ويدورون على دوائر الظواهر والمظاهر من دون الحقائق والجواهر، يدورون على القشور، ولا يَصِلُون إلى اللُّب! على العكس ممّا كان عليه أسلافهم أهل الجدّ والنشاط، وأهل الصدق في العمل قبل القول، وفي العزائم قبل الحديث. تلك السّجايا الجبّارة التي أخذها عنهم الأغيار فسبقوا مُسلمي اليوم وكان السّبق لهم، وكانت للمسلمين الدّائرة عليهم، فأصبحت على المسلمين!

ويستحيل على المسلمين إذا بقوا على هذه الحال، أن تقوم لهم قائمة أو تجتمع لهم كلمة، أو تثبت لهم في المجتمع البشري دعامة، ولو ملأوا الصحف والطوامير وشحنوا أرجاء الارض وآفاق السماء بألفاظ الاتّحاد والوحدة وكلّ ما يُشتقّ منها ويُرادِفها، بل ولو صاغوا سبائك الخطب منها بأساليب البلاغة، ونظّموا فيها عقود الجواهر والإبداع والبراعة.

كلّ ذلك لا يُجدي إذا لم يندفعوا نحو العمل الجدّي والحركة الجوهريّة، ويُحافِظوا على أخلاقهم وملكاتهم، ويكبحوا جماح أهوائهم ونفوسهم بإرسال العقل والرويّة والحنكة والحكمة، فيجد كلّ مسلم أنّ مصلحة أخيه المسلم هي مصلحة نفسه، ويسعى لها كما يسعى لمصالح ذاته، وذلك حيث ينزع الغِلّ من صدره والحقد من قلبه، وينظر كلّ من المسلمين إلى الآخر -مهما كان- نظرَ الإخاء لا نظر العداء، وبعين الرّضا لا بعين السّخط، وبلحاظ الرّحمة لا الغضب والنّقمة.

كما ذكر أنّ الإتحاد سجايا وصفات، وأعمال ومَلَكات، وأخلاق فاضلة، وحقائق راهنة، ونفوس متضامنة، وسجايا شريفة، وعواطف كريمة، والإتّحادُ هو أن يتبادل المسلمون المنافع ويشتركوا في الفوائد، ويأخذوا بموازين القسط وقوانين العدل. وليس معنى الوحدة في الأُمّة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت، ولا من العدل أن يُقال للمهضوم إذا طالب بحقٍّ أو دعا الى عدلٍ: إنّك مُفرّقٌ أو مُشاغب، بل ينظر الآخرون إلى طلبه، فإن كان حقّاً نصروه، وإن كان حَيْفاً أرشدوه وأقنعوه، وإلّا جادلوه بالتي هي أحسن مُجادلة الحميم لحميمه والشّقيق لشقيقه، لا بالشتائم والسباب والمنابزة بالألقاب!

ولطالما دعا الشيخ كاشف الغطاء رضوان الله عليه إلى عقد المؤتمرات لتنمية فكرة الاتّحاد الجدّي، وأن يحذر المسلمون من حيتان الغرب وأفاعي الإستعمار، كما سمّاها، فإنّهم من أخطر عوامل بذر التفرقة والشقاق بين أبناء الأُمّة الإسلاميّة.

دعاءُ العهد

مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِهَذَا "العَهْدِ" كَانَ مِنْ أَنْصَارِ قَائِمِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنْ مَاتَ قَبْلَهُ أَخْرَجَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ قَبْرِهِ وَأَعْطَاهُ اللهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ.

الإمام الصادق عليه السلام

لا عقلانيّة ما بعد الحداثة

وهم الحريّة في المجتمع الصناعي

د. جاد مقدسي*

لقد أنتج المجتمع الصناعي الغربي إنساناً «ذا بُعد واحد»، يتوهّم بأنّه يعيش حرّاً، فيما هو يغرق في استلابٍ سحيقٍ لا قاع له، غافلاً عن أنّ تلبية مجتمعه لحاجاته المصطنعة ليست سوى وسيلةٍ لسلبه ذاتَه. فما أشبهه -حينها- بالعبد الذي يظنّ أنّه حرٌّ لمجرّد نيله حرّية اختيار سادته.

لعلّ أكثر ما امتاز به عصر التنوير في الغرب، أنّه وضع أمام مُفكّريه وفلاسفته خيار القطيعة الصارمة بين العقل والخرافة. في ذلك الوقت، كانت المجادلات الفكريّة والفلسفيّة مركوزة ضمن دائرة حسم هذه الثنائيّة لمصلحة العقل. وكانت الحجّة البالغة لدى هؤلاء، أنّ حاكميّة العقل هي الشرط التاريخي الذي لا مناصّ منه لإطلاق حركة العلم والتصنيع ودورة رأس المال.

التسويغ الثقافي والإيديولوجي الذي تقاطعت حوله أفكار التنويريّين، هو قلْب ما كان شائعاً في مجتمعات القرون الوسطى، وتحويله إلى نصابٍ آخر. فقد جاءت الحصيلة المعرفيّة للحداثة، لتبيّن أنّ الإنسان هو مركز الكون، بعدما احتلّته الخرافة والميتافيزيقا الدينيّة. ولكي نستظهر الصورة المُجْملة على حقيقتها، لنا أن ننطلق من وقائع القرن الثامن عشر في أوروبا، وهو القرن المعروف بعصر النهوض في الثقافة الفرنسيّة، وعصر التنوير في نظيرتها الإنكليزيّة. على أنّ اتجاه هذا العصر نحو العلم، ومن خلال الاعتماد الصارم على العقل في معرفة أسرار الكون الفيزيائي، وقوانين التاريخ السياسي والاجتماعي، هو من مفضيات الثورة العلميّة في القرن السابع عشر. ذلك ما ظهر مع «نيوتن» في ما عُرف بالتفسير العقلاني العلمي للعالم. وهو الأمر الذي حفّز الفكر الاجتماعي على إطلاق طموحه ليُحَقّق ما حقّقه هذا الفيزيائي في ميدان الطبيعة.

لكنّ الثّقة بقدرة العقل على فهم قوانين الكون الطبيعي، تلازمت مع ثقة موازية بقدرته على فهم حركة التاريخ، وقوانين التغيير التي تحكمها. وعلى ذلك، يمكننا أن نلحظ كيف كان هذا العصر، هو نفسه عصر الفكر الذي انبثقت منه الإيديولوجيّة الليبراليّة التي شرَّع لها «مونتسكيو» على صعيد الفكر السياسي. وهذا الأخير –على ما نعرف– هو المشرّع الذي يُنظر إليه بوصفه والد الإيديولوجيا العقلانيّة الليبراليّة في بُعدَيْها السياسي والدستوري. بل ثمّة من مضى إلى أنّه تخطّى العلاّمة ابن خلدون باقتراحه النظام اللازم لقوننة الحريّة، والحؤول في الآن عينه، دون استشراء الاستبداد. وهذا الاقتراح هو عين المبدأ القائل بفصل السلطات، باعتبار أنّ توحيد مركز السلطة سوف يؤدّي بالضرورة إلى واحديّة المنظومة السياسيّة الحاكِمة.

لم يدُم الانخطاف طويلاً بدهشة التنوير، فالعقل الذي اتّخذ سبيله لرعاية النظام العام للدولة والمجتمع، سوف يتّخذ سبيلاً معاكساً بعد وقتٍ قصير. لقد بانَ بوضوح، ولا سيّما بعد ظهور الدولة القوميّة، وسعيها إلى تمديد سيادتها خارج أرضها، أنّ اللاّعقلانيّة في الغرب الحديث، طفقت تحتلُّ المواقع الأساسيّة في عقل الدولة والمجتمع. ففي السنين الأولى للقرن العشرين، وتحديداً في العام ١٩٢٠، عمّت التشاؤميّة في حقول الفكر والثقافة والفلسفة، لتعكس ظاهرة معرفيّة مفارقة في الغرب الأوروبي. ففيما كانت النُّخب في العالم الإسلامي مأخوذةً بسحر الحداثة وأنوارها، جاءتها عواصف مفاجئة من جغرافيّات الحداثة نفسها لتهتزّ معها طائفة وازنة من العناوين، التي دأبت على الأخذ بها كسبيل هادٍ لإنجاز حداثتها. لقد جاءت عواصف النقد لتُشير إلى رجوع العقل في الغرب إلى سيرته الغابرة، ثمّ ليستأنف مأزقه على نشأة أخرى. فلئن كانت الخرافة قد تراجعت أمام سطوة الحداثة، فإنّ هذه الأخيرة ستتعرَّض لضرباتٍ شديدة الإيلام من جانب تيّارات فلسفيّة عبَّرت عن نفسها بما يشبه الاحتجاج العبثي على باب الحداثة المسدود.

نستطيع أن نرى إلى هذا التّحوّل، من خلال ما قدّمه نقّاد التنوير من بيانات متشائمة. فلمّا أعلن هؤلاء أنّ الحضارة الغربيّة انبنت على استراتيجيّة متفسّخة، فقد ابتغوا بذلك الإشهار الصريح على أنّ تلك الحضارة آلت إلى سحق غرائز الإنسان الحيويّة، من خلال السيطرة على الطبيعة، وعلى الذّات، وعلى الآخرين.

* أكاديمي وباحث عربي - باريس

قبل بضعة عقود، كان للمفكّر المعروف «هربرت ماركوز» رؤية ثاقبة في تشكيل صورة دراميّة للمجتمع الصناعي الغربي. لقد تحدّث يومها عن مقولة الإنسان ذي البعد الواحد الذي أنتجه مجتمعُهُ ذو البعد الواحد. وهو لاحظ أنّ الإنسان في هذا المجتمع فَقَدَ «حقّه» في الحياة بمجرّد أن سلّم للمجتمع مقاليد أمره، إذ توهّم بأنّه يعيش الحريّة فيما هو يغرق في استلاب سحيق لا قاع له. وفي اعتقاده، أنّه إذا كان المجتمع يحرص على تلبية هذه الحاجات المُصطنعة، فليس ذلك لأنها شرط استمراره ونموّ انتاجيّته فحسب، بل أيضاً لأنها خير وسيلة لاستيلاد الإنسان المسلوب، ذاك القابل بالمجتمع «الواحدي» والمُتكيّف معه. الإنسان ذو البُعد الواحد بهذه المعايير، هو الذي استغنى عن الحريّة بوهم الحريّة. فلو ظنّ (هذا الإنسان) أنّه حرٌّ لمُجرَّد أنّه يستطيع اختيار حاجاته من بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات، فما أشبهُهُ من هذه الزاوية، بالعبد الذي يتوهّم أنّه حرٌّ لمُجرّد نيله حريّة اختيار سادته. (...) والمجتمع الصناعي –برأي ماركوز– لم يُزيّف حاجات الإنسان الماديّة فحسب، بل زيّف أيضاً حاجاته الفكريّة، أي عقله وفكره بالذّات. ذاك أنّ العقل الذي يتأمّل ويتفكّر هو في واقع حاله، عدوٌّ لدود لمجتمع السيطرة، لأنّه يمثل قوّة العقل النقديّة، السالبة، التي تتحرّك دوماً باتجاه ما يجب أن يكون، لا باتّجاه ما هو كائن. وهذه القوّة هي في خاتمة المطاف قوّة إيديولوجيّة، راحت سُلطة الحداثة تُوظّفها لخدمة إمبرياليّتها الصاعدة. ولئن كان المجتمع الليبرالي، ثمّ المابعد ليبرالي، قد أحاط الإيديولوجيا بالإزدراء والتحقير باسم عقلانيّته التكنولوجيّة، أو بذريعة النظر إلى الحقائق بزعم أنّها تتبدّى له كضوء الشمس، فذلك لا يعني أنّه لم تَعُد هناك إيديولوجيا، أو أنّها أوشكت على أن تواجه موتها المحتوم...

لدى نقّاد الحداثة، ولدينا أيضاً، أنّ المدنيّة التقنيّة وهي في ذروة جنونها، باتت هي الإيديولوجيا بعينها. ولقد تبيّن من خلال ما شهدته أطوار القرن العشرين المُنصرم، أنّ أبرز وجوهها من هذه الزاوية، هو المذهب العملي في الفيزياء، والمذهب السلوكي في العلوم الاجتماعيّة، وصولاً إلى المذهب البراغماتي في حقول الإستراتيجيّات السياسيّة والاقتصاديّة. وإلى ذلك على الجملة، سوف نجد أنّ السِمة المشتركة الأساسيّة لتلك المذاهب هي الالتزام بالواقع المُعْطَى، ونبذ المفاهيم الشموليّة أو النقدية التي تُهدّد بالكشف عن بُعد آخر لذلك الواقع.

أمّا الصورة الآن، فلا تُفْصِح إلّا عن جرعة يسيرة ممّا منحه لنا ميراثُ العقل. ولنا أنْ نقول إنّ منطق التحوّلات الذي افتتحته الحداثة الغربيّة منذ بداية القرن العشرين وإلى بداية زمن العولمة، لم يُسفِر إلّا عن إدخال الإنسان في لُجّة غير آمنة. وأمّا كارثة التحرُّر التي تحدّث عنها نقّاد الحداثة المعاصرة، خصوصاً بعد أفول البريق الإيديولوجي للشيوعيّة، فهي تلك التي راحت تدفع العالم إلى فضاء اللاّعقلانيّة بوسائط شديدة العقلانيّة. وهنا تكمُن على نحو خاص، قوّة المجتمع العولمي ذي البُعد الواحد: أي الطابع العقلاني للاعقلانيّته. بحيث ذهب هذا النّوع من «المجتمع العولمي» إلى تسويق ما عُرف بـ«الفكر الإيجابي» .. الفِكر الذي يُمَهّد لسيرورة مديدة من الامتثال والإذعان وعدم الاحتجاج. ذلك بأنّ القبول بمثل هذا النوع من «الإيجابيّة» هو قبول قسري لا بحكم الإرهاب، وإنّما بفعل سلطة المجتمع التكنو–إلكتروني وفعاليّته الساحقة.

قد يتساءل واحدنا عن مبرّرٍ لمثل هذه المُطارحة، في هذه الحقبة بالذّات. لكن ثمّة ما يُشبه الإجماع غير المُعلن في المجتمعات الغربيّة، وبين نُخبِنا على الأخصّ، على راهنيّة مراجعة ما يُسمّى بالأُطروحة العقلانيّة. فالكلام على المآل اللاّعقلاني لسلوك الحداثة في طورها المعاصر، لا يتعلّق فحسب، بالحيّز السياسي لهذا السلوك، بل هو مُتّصل بالدّرجة الأولى، بما بلغه مسار التصدُّع الذي يحكُم منظومات التواصُل داخل منوّعات الحضارة البشريّة المُعاصرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ
أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

الفرقان ٤٣

متكلّم جليل القدر

الفقيه الشهيد، «الفَتّال النَّيْسابُوري»

إعداد: أكرم زيدان

الشيخ أبو علي، محمّد بن الحسن (ت ٥٠٨ هجريّة) المعروف بالفتّال النيسابوري، كما يُعرف بالفارسي. وأمّا لقبه الفتّال، فمعناه «البلبل»، والفَتْلُ شدْوُه.

عدّه معاصرُه الشيخ عبد الجليل القزويني في جملة أعلام الطائفة، كالشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشريفين الرضي والمرتضى فقال: «وكلٌّ منهم كان مدرّساً، ومتكلّماً، وفقيهاً، وعالماً، ومُقرئاً، ومفسّراً، ومتديّناً وزاهداً».

اشتهر بـ (صاحب روضة الواعظين) وهو كتابه الوحيد الذي وصلنا، وقد اعتنى العلماء به عناية خاصّة، لمكانة مؤلّفه العلميّة، وفرادة منهجيّته، وشموله لأهمّ ما يحتاجه المؤمن في مختلف المجالات الثقافيّة.

عالم جليل، وفقيه كبير من الرعيل الأوّل بين كبار العلماء، لقي الله تعالى مخضّباً بدم الشهادة، في درب واجب المودّة في القربى، دفاعاً عن أهل البيت عليهم السلام.

ذكره الشيخ محمّد بن الحسن «الحرّ العاملي» في كتابه (أمل الآمل) ثلاث مرات، مرّةً بعنوان: الشيخ الشهيد محمّد بن أحمد الفارسي الفتّال، ثقة جليل له كتاب (روضة الواعظين). وثانيةً بعنوان: محمّد بن الحسن الفتّال الفارسي النيسابوري، له (التنوير في معاني التفسير) و(روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين). وثالثةً بعنوان: الشيخ محمّد بن علي الفتّال النيسابوري صاحب التفسير، ثقة وأيّ ثقة، أخبرنا جماعة من الثقاة عنه بتفسيره. انتهى.

قال المحدّث الشيخ عباس القمّي في كتابه (الكنى والألقاب): «هو الشيخ الأجلّ، الشهيد السعيد، أبو علي محمّد بن الحسن، بن علي بن أحمد النيسابوري، المعروف بابن الفارسي، الحافظ الواعظ، صاحب كتابَي (روضة الواعظين) و(التنوير في التفسير)، كان من علماء المائة السادسة، ومن مشايخ ابن شهرآشوب، يروي عن الشيخ الطوسي، وعن أبيه الحسن بن علي، وعن السيد المرتضى رضي الله عنه».

وكلُّ من ذكَرَه وصفَه بما مرّ آنفاً، وقد اقتصرنا على الأقوال المتقدّمة رعاية للإختصار.

موقع مدينة نيسابور في إيران

نَيسابور

هي «نيشابور» كما تُعرف الآن في إيران، قال الحموي في (معجم البلدان): «نَيسابور بفتح أوّله، والعامّة يُسمّونه نشاوور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوّفتُ من البلاد مدينة كانت مثلها..».

وقد تشرّفتْ نيسابور بمرور الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام فيها أثناء توجّهه الى مَرو عاصمة المأمون، وقد أوقفه علماؤها في

جمهرة كبيرة من الناس ملتمسين منه أن يحدّثهم بحديث عن آبائه، عن رسول الله صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، فحدّثهم بالحديث المعروف بحديث «سلسلة الذهب»، وقد ذكرت التواريخ أنه عُدَّ أهل المحابر والدويّ [جمع دواة] الذين حضروا لكتابة الحديث فأنافوا على عشرين ألفاً.

وفي «نيشابور» الآن مقام «قَدَمْكاه» أو «موضِع القدم»، وفي أحد جدارن هذا المقام صخرةٌ عليها أثرُ قدم، يُنقل أنّه أثر قدم الإمام الرضا عليه السلام، عندما توضّأ في هذا المكان، وهو مزار معروف تتوافد إليه أفواج الزائرين.

ومن الرواة والعلماء المشهورين بالنيسابوري:

- حمدان [أحمد] بن إسحاق النيسابوري، من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام.

- المتكلّم والفقيه الفضل بن شاذان النيسابوري، من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

- الحسين بن علي النيسابوري، من تلامذة الشيخ المفيد.

- فريد الدين النيسابوري المعروف بـ«الداماد».. وغيرهم كثير.

أساتذته

لم يرد في التراجم ما يشير إلى أساتذة الشيخ الفتّال ولا تلامذته، ولكن يُستفاد أنّه قضى شطراً من عمره في بغداد، التي كانت آنذاك (القرن الخامس الهجري) محطّ أكابر العلماء وجامعة الإسلام، فهو قد روى عن الشريف المرتضى المتوفّى سنة ٤٣٦ هجريّة، وروى عن الشيخ الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ هجريّة، وروى عن أبيه الشيخ الحسن بن علي الفتّال، وعن عبد الجبار بن عبد الله الرازي فقية الرّي، وذو الفَخرَين المرتضى أبي الحسن المطهّر كما في (لسان الميزان) لابن حجر.

الرواة عنه

أمّا من سمع منه، فالحافظ محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني المتوفّى سنة ٥٨٨ هـ، وعليّ بن الحسن بن عبد الله النيسابوري. يقول ابن شهرآشوب في مقدمة كتابه (مناقب آل أبي طالب): «وحدثني الفتّال بـ (التنوير في معاني التفسير) وبكتاب (روضة الواعظين وبصيرة المتعظين)».

مكانته العلميّة

يؤكّد المكانة العلمية السامية لهذا العالم الجليل، ما قاله في التعريف

جانب من أطلال «نيسابور» القديمة

به عالم معاصر له، وهو الشيخ عبد الجليل القزويني، حيث عدّه في جملة أعلام الطائفة، كالشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشريفين الرضي والمرتضى ثم قال: «وكلٌّ منهم كان مدرّساً، ومتكلّماً، وفقيهاً، وعالماً، ومُقرئاً، ومفسّراً، ومتديّناً، وزاهداً».

وبناءً على هذا النص المقتضب، الغنيّ بمخزون الدلالة على أبعاد شخصية الشهيد الفتّال، فمن الواضح أنه قدّس سرّه الشريف، في الرَّعيل الأول من كبار العلماء. ويمكن تعزيز ذلك -وإن كان لا يحتاج إلى التعزيز- بملاحظة العناصر الثلاثة التالية:

أ- المكانة العلميّة لشيوخه في الرواية.

ب- المكانة العلميّة لتلامذته الرواة عنه.

ج- عناية العلماء عبر القرون بما وصلنا من كُتبه، وهو كتاب (روضة الواعظين) إلى حدّ أنّ المؤلّف أصبح يُعرف بـ (صاحب روضة الواعظين) وهو أشهر ألقابه في المصادر المختلفة.

منهجه في التأليف

في ضوء النصوص التي تكشف على ندرتها بعض التفاصيل عن مكانته العلميّة السامية، سنقف عند منهج الشهيد الفتّال النيسابوري، كما يتضح من كتابه الوحيد الذي وصلنا.

في مقدّمة كتاب (روضة الواعظين) وفي خاتمته نصّان، يُسلّطان الضوء على منهجيّة الشهيد في التأليف، وهي منهجية علميّة وعمليّة، تجمع بين الدقّة العقليّة، ويُسر التناول للمُتعلّمين، وتتبُّع المحاور التي تمسّ الحاجة إليها في العمل والتطبيق.

* حول تبويب الكتاب، وتتبُّعه ما تمسُّ الحاجة إليه، ممّا لم يجده مجتمعاً في المؤلّفات، قال رحمه الله: «..فإنّي كنت في عنفوان شبابي قد اتفقَتْ لي مجالس، وعرضت محافل، والناس يسألونني عن أصول الديانات، والفروع عنها في المقامات، فأجبتُهم عنها بجواب يكفيهم ومقال يشفيهم، فحاولوا منّي بالكلام في التذكير

والزهد، والمواعظ والزواجر، والحكم والآداب، فرجعتُ إلى كُتب أصحابنا، فما وجدت لهم كتاباً يشتمل على هذه المطلوبات، ويدور على جُمل هذه المذكورات، إلا متبتّرات في كُتبهم، وتفريقاتٌ في زُبُرهم، فهممتُ أن أجمع كتاباً **يشتمل على بعض كلام الله تعالى، ويدور على محاسن أخبار النبي** صلى الله عليه وآله، **ويحتوي على جواهر كلام الأئمّة** عليهم السلام، وأُبوّبه أبواباً ومجالس، وأضع كلَّ جنسٍ موضعَه، فإنّه لم يسبقني أحد من أصحابنا إلى تأليف مثل هذا الكتاب..».

* وحول المنهج الذي اعتمده في التبويب واختيار المضمون، يقول رحمه الله تعالى: «وإن ورد خبرٌ في هذا الكتاب يقتضي ظاهرُه مذهب الحشو والاختلاط، ينبغي أن يتأمّله الناظر ويتفكّر فيه، فإنْ عرف تأويلَه عرف معناه، وإنْ لم يظهر له معناه رجع إلى مَن عرف معناه ليُعرِّفه المرادَ به، فإنّ كلام النبيّ والأئمّة عليهم السلام ليس له مزيّة على كلام الله، **فكلامُ الله تعالى لم يخلُ من المتشابه، فكذلك كلام النبي** صلى الله عليه وآله **والأئمّة** عليهم السلام، لكنّه يرجع إلى مَن كان عالماً، حاذقاً، بصيراً بالأصول والفروع، واللغة والإعراب، حتى يتبيّن المراد ، فيعلم أنّه ليس بين كلام الله تعالى، والنبيّ والأئمّة عليهم السلام تناقضٌ سوى مَن كان من أهل الحشو، وقليل البضاعة في العلم، وأنا أذكر أمام هذا الكتاب طرَفاً من الأصول لأنّها المفزع، وإليها المرجع، بعد أن أذكر الكلام في العقول والعلوم، والله الموفّق للصواب، بمنّه ولطفه».

صورة حديثة لإحدى ضواحي «نيسابور»

ثم يعود في آخر الكتاب إلى توكيد أنّه حقّق في النصوص التي أوردها، ولم يورد إلّا ما يعتقد بصحّته، وإذا كان ظاهره يُشعر بخلاف ذلك، فالسبب أنّه نصٌّ يجب التدبّر فيه، لتتّضح دلالته المُنسجمة مع الثوابت. قال رحمه الله تعالى: «وقد شرطنا في أوّل الكتاب ونبّهنا على أنّ أخباراً كثيرة وآثاراً جمّة، يقتضي ظاهرُها مذهب الحشو وخلاف الحقّ، ينبغي أن يتأمّلها الناظر ويتفكّر فيها، ويحملها على وجه يكون موافقاً للأصول ودلائل العقول، فإنّي لم أذكر شيئاً في هذا الكتاب من الخبر والأثر الذي يقتضي ظاهره مذهب الحشو حتّى كنتُ عالماً لمعناه قبل إيراده، لكنْ لم أذكر معناه لئلّا يطول به الكتاب، فينبغي أن لا يعتقد أحد أنّي كنت حشويّاً ومخلِّطا فإنّي رجلٌ مُحقِّق..».

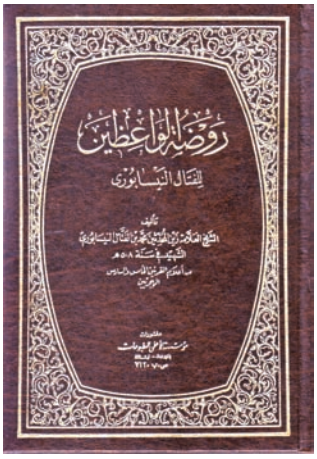

الكتاب الوحيد المتبقّي من الشهيد النيسابوري

وأهل الحشو الذين يبرأ المؤلّف من منهجهم، هم الذين يُعبّر عنهم الشيخ المفيد «أهل الحشو والتخليط» وهم الذين لا يُحقِّقون في النصوص، ويأخذون بالظاهر الذي لا يصمد أمام التحقيق والعرْضِ على سائر النصوص، وخصوصاً القرآن الكريم.

مؤلّفاته

١- (التنوير في معالم التفسير): وهو من الكتب المعتبرة عند الشيعة، وفي عداد تفاسيرهم المعتمد عليها، وقد ذكره الشيخ عبد الجليل في كتابه (النقض) وأطراه كثيراً، كما رواه الحافظ ابن شهرآشوب عن مؤلّفه، أشار إلى ذلك في مقدّمة (المناقب).

٢- (مؤنس الحزين): تفرّد ابن شهرآشوب بنقل رواية في (المناقب) عن كتاب اسمه (مؤنس الحزين) نسبه الى الشيخ الفتّال يقول: «محمّد الفتّال النيسابوري في (مؤنس الحزين) بالإسناد عن عيسى بن الحسن عن الصادق قال بعضهم للحسن بن علي ..». ولعلّه غير كتاب (مؤنس الحزين في معرفة الحق واليقين) للشيخ الصدوق.

٣- (روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين): وهو الأثر الوحيد الباقي للشيخ الفتّال، وقلّما يُذكر المؤلّفُ دون أن يُذكر معه، وقد أثبته العلماء وأصحاب التراجم والمصنفات في كتبهم، ابتداءً من العلّامة ابن شهرآشوب الذي رواه عنه مباشرة وحتى يومنا هذا، وقد طُبع مرّات عدّة. يقول عنه العلّامة المجلسي في مقدّمة (بحار الأنوار): « كتاب (روضة الواعظين وتبصرة المتّعظين) للشيخ محمد [بن الحسن] بن علي بن أحمد الفارسي، وأخطأ جماعة ونسبوه إلى الشيخ المفيد، وقد صرّح بما ذكرناه [نسبة الكتاب إلى النيسابوري] ابن شهرآشوب في (المناقب)، والشيخ منتجب الدين في (الفهرست) "..."وعلى أيّ حال يظهر ممّا نقلنا جلالة المؤلف، وأنّ كتابه كان من الكتب المشهورة عند الشيعة».

شهادته ومدفنه

جاء في التواريخ عن شهادة الفتّال النيسابوري أنّه قتله أبو المحاسن عبد الرّزاق رئيس نيسابور الملقّب بشهاب الإسلام، وأنّه قتله على «الرفض». وفي ذلك يقول العلّامة الأميني في كتابه (شهداء الفضيلة): «وصرّح بشهادته وأطراه صاحب (الأمل) والعلّامة المجلسي والنوري وغيرهم، غير أنّي لم أقف على تاريخ شهادته تفصيلاً عدا ما في فهرست المكتبة الرضويّة من أنّه قُتل على التشيُّع».

مدخل مقام «إمام زاده محروق»

وبالرجوع إلى المصادر، يظهر أنّ عبد الرزاق هذا، كان ابن أخ «نظام الملك» السلجوقي، وأنّه كان من قروم الأئمّة وفحول العلماء المشاهير، وكان مُظهراً للنُّسك والورع، إلى أن ولّاه السلطان «سنجر» مقاليد الوزارة، فتبدّلت أحواله وصار شارباً للخمر منتهكاً للحرمات، ولم يُعلم إن كانت فتواه بقتل الشيخ الشهيد قبل أن يتولّى الوزارة أو بعد تولّيها، لأنّ المذكور في شهادة الشيخ أنّها كانت سنة ٥٠٨، وأنّ تولّي عبد الرزاق للوزارة كان سنة ٥١٣ هجريّة.

أمّا عن موضع دفنه فقد جاء في (تاريخ نيسابور) في أسماء الذين لهم قبور معلومة فيها، ما نصّه: «الشيخ محمّد الفتّال رحمه الله، وتربته في قِبلي مقبرة (خيرة) بنيسابور».

وبالرجوع إلى المصادر الفارسيّة الحديثة، لم يرد ذكرٌ لمقبرة (خيرة)، وإنّما إشارة موجزة لمقبرة (حيرة) بالحاء المهملة، وأنّها كانت تُعرف بمقبرة زياد بن نصر القاضي، وهي على مقربة من المقام المعروف اليوم باسم (إمامزاده محروق).

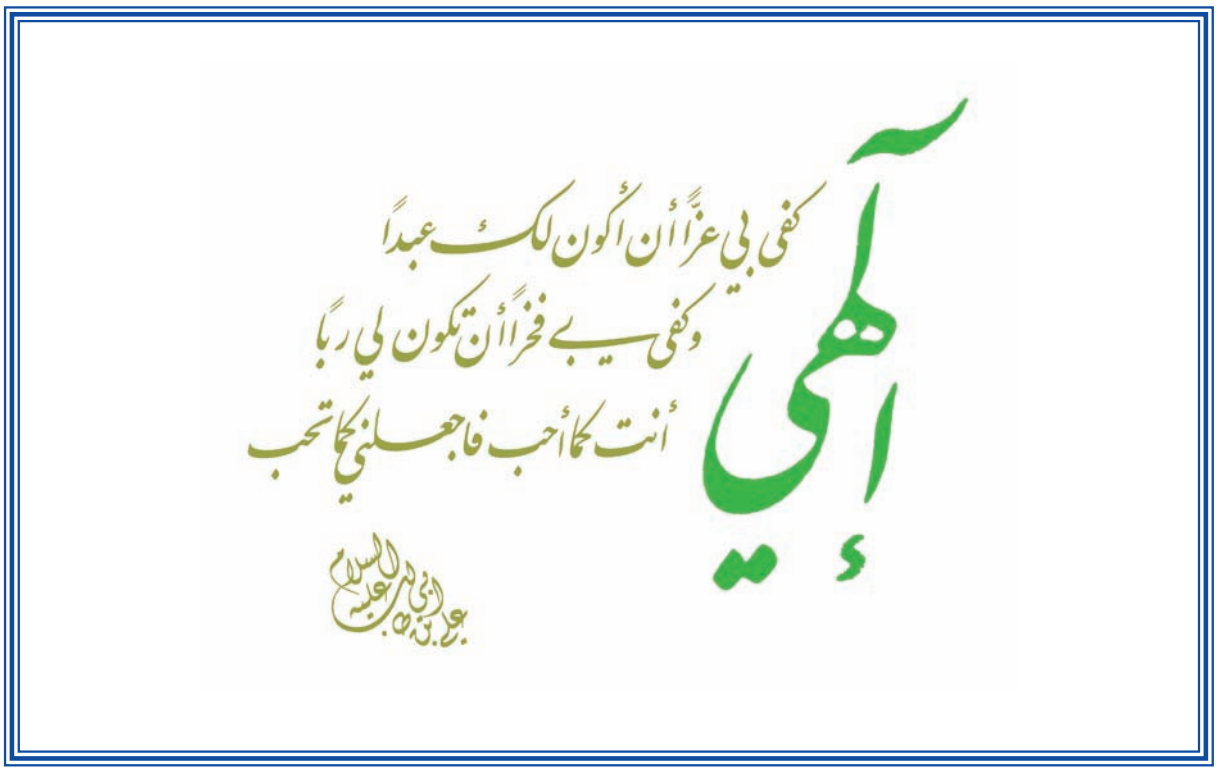

قواعد الحوار
بين الإفهام والإفحام

الشيخ حبيب الكاظمي *

■ من قواعد الحوار:

* السلامة من مرض حبّ الإفحام والغلبة.
* الحوار في الأصول ثمّ في الفروع.
* الصدق في طلب الحقيقة.
* والإحترام المتبادل.

لقد جعل التقدّم التكنولوجي هذا العصر عصرَ حوار الحضارات، بل صراع الحضارات! حيث نرى أنّ خصوصيّات وأسرار المدارس الفكريّة والدينيّة المختلفة قد طُرحت على بساط البحث والنقاش للجميع. وفي خضمّ هذه المناظرات الثقافيّة، نرى من الضروري وضع قواعد علميّة وعمليّة، ليكون أيّ حوار ثقافي حواراً بنّاءً، له أهدافه وآدابه، وليس جدالاً فارغاً مضيّعاً للوقت والجهد.

وثمّة أصناف من المجادلين عرَّفتهم آيات الكتاب الحكيم: فهناك المجادلون عن جهل، وهناك المجادلون اتّباعاً أعمى لآبائهم أو لشياطين الجنّ والإنس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ الحج:٣، وهناك المجادلون عن كِبْرٍ وتعالٍ على الغير: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ..﴾ غافر:٥٦، وأخيراً هناك المجادلون لأجل هدف مقدّس، وذلك للدعوة إلى سبيل الله تعالى، وتوعية المجتمع ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..﴾ النحل:١٢٥.

ولأجل تحقّق الحوار السليم والهادف، ينبغي للمؤمن أن يُراعي القواعد التالية:

أوّلاً: التخصّص في موضوع الحوار. فمن المؤسف أن نرى كثيرين ينبرون للإدلاء بدَلوهم في أمور الدين من دون سلطان مبين، في الوقت الذي يحترم فيه جميع العقلاء أرباب التخصّص في الطبّ والهندسة وغير ذلك من فروع المعرفة. فإذا بشخصٍ لا يُتقن العربيّة أو فهم ظواهر الكلمات الواردة في الدين، يتحدّث باسم القرآن والرسول صلى الله عليه وآله! بينما نرى علماء الدين يبذلون جهود سنوات طويلة، في فهم ما ورد في سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، وتمييزها إلى صحيح وحَسَن وموثّق ومرسل ومُسند، كلّ ذلك خوفاً من الوقوع في الظنّ الذي لا يُغني عن الحقّ شيئاً. ولطالما نهى أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن الجدال بغير أدلّة دامغة، لأنّ ذلك ممّا يزيد من عداوة المحاوَر وتعصُّبه. وممّا يؤكّد الحاجة إلى التخصّص، هو هذا الكمّ من المفاهيم الهُلاميّة التي يُساء استغلالها نظراً لعدم وضوح معانيها وحدودها بدقّة، مثل: مفهوم الحريّة، والديمقراطيّة، وحريّة المرأة، والانفتاح على الغير، وغير ذلك. ومن الواضح أنّ هذه المفاهيم تتوقّف عليها مواقف عمليّة، تغيّر مجرى حياة الفرد والأمّة إمّا سلباً أو إيجاباً.

ثانياً: نفي الإنّيّة والذاتيّة، وحبّ الإفحام والغلبة الفكريّة، وهذا من أصعب الأمور على النفس، ذلك لأنّ المُحاوِر الذي لم يخرج من أسْر «الأنا»، يحبّ أن يُبرز نفسه من خلال إظهار قوّته وتمكّنه في الحوار، ومن ثمّ الانتصار فيه ولو كان على حساب الحقيقة التي يفترض لزوم الوصول إليها! وقد قيل إنّ آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين هو حب الرئاسة!

ثالثاً: التحرّز عن الحوار مع مَن لا يريد الوصول إلى الحقيقة. فهناك صنف من السفسطائيّين الذين يُجادلون لهدف الجدال نفسه، فتراهم يتكلّمون في كلّ ما هبّ ودبّ، وكلّ همّهم هو أن يُشار إليهم بالبنان. وشتّان ما بين هذا النموذج، وبين أمثال سلمان الفارسي الذي قضى عمره متنقّلاً بين البلاد بحثاً عن الحقيقة، إلى أن استقرّ عند نَمير الوحي المحمّدي.

رابعاً: الإبتعاد عن النقاش في الفروع، قبل تثبيت الأصول. فلا بدّ من التركيز على القواسم المشتركة، ليكون النقاش مبنيّاً على أساس علمي ومنطقي سليم. فهل من المعقول أن نُقنع المُنكِر لوجود الله تعالى بعدالته مثلاً؟ أو نقنع المُنكِر لمبدأ الإمامة واستمراريّة التشريع من خلالها، بفروع المذهب الثابتة، كالتقيّة والتبرّك وغير ذلك من التفريعات الفقهيّة؟

خامساً: التحبّب إلى الطرف الآخر، واحترامه، وملاطفته، وخصوصاً إذا كان من المُستضعفين في عقيدتهم الذين ليس لهم غرض مشبوه من وراء النقاش. فالمُناظر الناجح هو الذي يتكلّم بثقة واطمئنان بما يعتقد به، ملتزماً حدود الأدب، متورّعا عن أسلوب التجريح والغوغائيّة. إذ إنّه بذلك يدخل في قلب الطرف المقابل، مقدّمةً لإدخال الفكرة إلى عقله.

* أستاذ في الحوزة العلميّة

وصيَّة العلّامة الحلّي لولده
إنّ الله لا يُسامح بكَسْرِ كَسِير

إعداد: علي حمود

«..عليك بحسن الخلق، وصلة الذريّة العلويّة، فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصيّة فيهم، وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد. وعليك بتعظيم الفقهاء، وتكرمة العلماء. وكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم والفقه في الدين، وزُر قبري بقدر الإمكان، واقرأ عليه شيئاً من القرآن الكريم».

في آخر كتابه الفقهي المرجعي (قواعد الأحكام) كتب العلامة الحلّي، الحسن بن يوسف الأسدي (ت ٧٢٦ هجريّة) قُدّس سرّه، وصيّة لولده فخر المحقّقين فقال:

إعلم يا بنيّ -أعانك الله تعالى على طاعته، ووفّقك الله لفعل الخير ومُلازمته، وأرشدك إلى ما يحبّه ويرضاه، وبلّغك ما تأمله من الخير وتتمنّاه، وأسعدك الله في الدارَين، وحباك بكلّ ما تقرّ به العين، ومدّ لك في العمر السعيد، والعيش الرغيد، وختم أعمالك بالصالحات، ورزقك أسباب السعادات، وأفاض عليك من عظائم البركات، ووقاك اللهُ كلَّ محذور، ودفع عنك الشرور- أنّي قد لخّصتُ لك في هذا الكتاب لبّ فتاوى الأحكام وبيّنت لك فيه قواعد الإسلام، بألفاظٍ مختصرة، وعبارةٍ مُحرّرة، وأوضحت لك فيه نهج الرشاد، وطريق السداد، وذلك بعد أن بلغتُ من العمر الخمسين، ودخلت في عشر الستّين، وقد حكم سيّد البرايا، بأنّها مبدأُ اعتراك المنايا، فإنْ حَكم الله تعالى عليّ فيها بأمره، وقضى فيها بقدره، وأنفذ ما حكم به على العباد، الحاضر منه والباد، فإنّي أُوصيك -كما افترضه الله تعالى عليّ من الوصية، وأمرني به حين إدراك المنيّة- بمُلازمة تقوى الله تعالى، فإنّها السُنّة القائمة، والفريضة اللازمة، والجُنّة الواقية، والعُدّة الباقية، وأنفع ما أعدّه الإنسان ليومٍ تَشْخَص فيه الأبصار، ويُعدم عنه الأنصار.

مكارم الأخلاق

وعليك باتّباع أوامر الله تعالى، وفعلِ ما يُرضيه، واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه، وقطع زمانك في تحصيل الكمالات النفسانيّة، وصرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلميّة، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجُهّال، وبذل المعروف، ومساعدة الإخوان، ومقابلة المُسيء بالإحسان، والمُحسن بالامتنان. وإيّاك ومصاحبة الأرذال، ومعاشرة الجهّال، فإنّها تفيد خُلُقاً ذميماً، وملكةً رديئة. بل عليك بملازمة العلماء ومجالسة الفضلاء، فإنّها تفيد استعداداً تامّاً لتحصيل الكمالات، وتُثمر لك مَلَكةً راسخة لاستنباط المجهولات. وَلْيَكن يومُك خيراً من أمسك، وعليك بالصبر والتوكُّل والرضا. وحاسب نفسك في كلّ يوم وليلة، وَأَكْثِر من الاستغفار لربّك، واتّقِ دعاء المظلوم، خصوصاً اليتامى والعجائز، فإنّ الله لا يسامح بكسر كسير.

وعليك بصلاة الليل، فإنّ رسول الله ﷺ حثّ عليها، وندبَ إليها، وقال: «مَن خُتم له بقيام الليل ثمّ مات فَلَه الجنّة».

وعليك بصلة الرحم، فإنّها تزيد في العمر. وعليك بحسن الخُلق، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم فَسَعوهم بأخلاقكم».

مودّة الذريّة الطاهرة وإكرامها

وعليك بِصِلة الذريّة العلويّة، فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصيّة فيهم، وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد، فقال تعالى: ﴿.. قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ..﴾ الشورى:٢٣. وقال رسول الله ﷺ: **«إنّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجلٌ نصرَ ذريّتي، ورجلٌ بذل مالَه لذريّتي عند المضيق، ورجلٌ أحبّ ذريتي باللّسان والقلب، ورجلٌ سعى في حوائج ذريّتي إذا طُردوا وشُرِّدوا».**

وقال الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيّها الخلائق أَنْصِتوا، فإنّ محمّداً يُكلِّمُكم، فيُنصت الخلائق. فيقوم النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، مَن كانت له عندي يدٌ أو مِنَّة أو معروف فليَقُم حتّى أُكافئه. فيقولون: بآبائنا وأمّهاتنا، وأيّ يدٍ وأيّ مِنّة وأيّ معروف لنا؟! بل اليدُ والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق. فيقول: بلى، من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برَّهم، أو كساهم من عُري، أو أشبع جائعهم، فليَقُم حتّى أُكافئه. فيقوم أُناسٌ قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله: يا محمّد يا حبيبي، قد جعلتُ مكافأتهم إليك، فَأَسْكِنْهم من الجنّة حيث شئتَ، فيُسكنهم في الوسيلة حيث لا يُحجبون عن محمّدٍ وأهل بيته صلوات الله عليهم**».

التفقُّه وإكرام الفقهاء

وعليك بتعظيم الفقهاء، وتَكْرِمة العلماء، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**مَن أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عنه راضٍ، ومَن أهان فقيهاً مسلماً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان**». وجعل [الله تعالى] النظر إلى وجه العلماء عبادة، والنظر إلى باب العالم، عبادة، ومجالسة العلماء عبادة. وعليك بكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم والفقه في الدين، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده: «**تفقّه في الدين، فإنّ الفقهاء وَرَثة الأنبياء، وإنّ طالب العلم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الطير في جوّ السماء والحوت في البحر، وإنّ الملائكة لَتَضَعُ أجنحتها لطالب العلم رضىً به**».

وإيّاك وكتمان العلم ومنعه عن المستحقّين لِبذله، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ البقرة:١٥٩. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا ظهرت البدع في أمّتي فليُظهر العالم علمه، فمَن لم يفعل فعليه لعنة الله**»، وقال عليه السلام: «**لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**». وعليك بتلاوة الكتاب العزيز، والتفكّر في معانيه، وامتثال أوامره ونواهيه، وتتبُّع الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة، والبحث عن معانيها، واستقصاء النظر فيها، وقد وضعتُ لك كتباً متعدّدة في ذلك كلّه. هذا ما يرجع إليك.

ما طلبه لِنفسه قدّس سرّه

وأمّا ما يرجع إليّ ويعود نفعُه عليّ: فأنْ تتعهّدني بالترحُّم في بعض الأوقات، وأن تُهدي إليّ ثواب بعض الطاعات، ولا تُقلِّل من ذكري فينسبَك أهلُ الوفاء إلى الغدر، ولا تُكثر من ذكري فينسبك أهل الغرم إلى العجز، بل اذكرني في خَلواتك وعقيب صلواتك، واقضِ ما عليّ من الديون الواجبة والتعهّدات اللازمة، وزُر قبري بقدر الإمكان، واقرأ عليه شيئاً من القرآن. وكلّ كتاب صنّفته، وحكم الله تعالى بأمره قبل إتمامه، فَأَكْمِله وأصلح ما تجده من الخلل والنقصان والخطأ والنسيان. هذه وصيّتي إليك، والله خليفتي عليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، والله أعلم بالصواب.

وَاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ مَا أُعْطِيَ مُؤْمِنٌ قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللهِ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَالْكَفِّ عَنِ اغْتِيَابِ الْمُؤْمِنِينَ

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

«إسرائيل» الخائفة من عقلانيّة أعدائها

«والشعب يريد إنهاء الاحتلال»

كريم عبد الرحمن*

تعيش «إسرائيل» الآن على آثار مقولة الاحتلال التي بلغت حدّ الإشباع. فمفهوم التوسُّع، خارج ما يُسمَّى «إسرائيل الصغرى»، لم يعد حقيقة إيديولوجيّة قابلة للتنظير، مثلما لم يعد حقيقة سياسيّة قابلة للتطبيق، بل إنّه يتقوقع، معبِّراً عن نفسه بتصعيد لاعقلاني وغير مسبوق في حركة الاستيطان.

أكثر ما يخشاه «الإسرائيليّون» وهم يرقبون مسار التحوّلات الثوريّة في العالم العربي، هو أن يعود الفلسطينيّون إلى العمل وفق منطق الانتفاضة الأولى أواخر الثمانينات. يومذاك استطاع شعب فلسطين أن يُبدع مقاومة عطَّلت الآلة العسكريّة الضخمة «لإسرائيل»، ووضعت دولة الاحتلال أمام خيارات سياسيّة وأمنيّة شديدة الخطورة.

ومع أنّ القيادة «الإسرائيليّة» انصرفت على مدى عقدين من الزمن إلى إجراء عمليّات احتواء متعدّدة الأنساق والتقنيّات حيال الانتفاضة، إلّا أنّ المخاوف الاستراتيجيّة من استئناف ثورة الحجارة، بالتزامن مع التحوّلات الحاصلة في الأمن الإقليمي، تبدو الآن في ذروتها. والتساؤل الذي يشغل مدارات التفكير في «إسرائيل» اليوم، يجري في الاتجاه الذي يمكن أن يتوحّد فيه فلسطينيّو غزّة والضفة، إلى فلسطينيِّي أراضي ٤٨، تحت شعار مركزي هو «شعب فلسطين يريد إنهاء الاحتلال».

أمّا السؤال الذي يُتداول بزخم خاص في الوسط الفكري «الإسرائيلي»، فيتركّز على الخيارات الممكنة التي سوف تعتمدها دولة تقوم على خاصيّة الاستيطان والاحتلال، حيال شعب يريد خوض حرب استنزاف طويلة الأمد بالصدور العارية؟ الخشية «الإسرائيليّة» من مآل متوقّع كهذا، لا تتأتّى من النظر إلى ثورة حجارة جديدة بوصفها نسخة مكرّرة عن سابقاتها، بل في اندراجها ضمن سلسلة متّصلة من الثورات والانتفاضات أسقطت أنظمة وحكومات، يعتبرها «الإسرائيليّون» شريكاً استراتيجيّاً في أمنهم القومي والإقليمي. وما يضاعف من مثل هذه المخاوف، هو الحضور الوازن لميراث الخسارات التي مرّت بها «إسرائيل» في خلال العقدَين المُنصرمَين. لذا سنرى كيف أنّ التنظير «الإسرائيلي» ذا الطابع التشاؤمي راح يتّكئ على جملة من الحقائق السوسيو-ثقافيّة والنفسيّة، ستكون لها فعاليّة حاسمة في سياق البحث عن سبب الإخفاق في المواجهات المديدة مع الشعب الفلسطيني.

أساس هذا التنظير ينطلق من أطروحة مفادها «إنّ الضعفاء هم غالباً ما يكونون الأكثر عقلانيّة».

وبيان ذلك -حسب عدد من المفكِّرين «الإسرائيليّين»- أنّ الضّعفاء، وهم يواجهون القوّة العاتية، يقيسون موازين القوى بمعايير أكثر دقّة ممّا يقيس به المنتصرون.

يقول الجنرال «الإسرائيلي» المتقاعد فان كريفيلد في هذا الصّدد: «عندما كنّا ضعفاء في الماضي، كنّا عقلاء وجسورين فحقّقنا الانتصار. لكنّ تحوّلات جذريّة طرأت على الصراع لتصبح المعادلة مقلوبة تماماً. فلقد بدأت المشكلة في لبنان عندما باشرنا بقتال من هم أضعف منّا. ومنذ ذلك الوقت ونحن نمضي من فشل إلى آخر».

الخط الانحداري الذي بلغ مع حرب تموز ٢٠٠٦ مستويات أكثر عمقاً ممّا كان يتوقّعه كثير من علماء المستقبليّات في «إسرائيل»، أخذ يكمل مساره المدوّي في تجربة الحرب على غزّة عام ٢٠٠٩. لذا لن يكون من الغلوّ في شيء، حين ينبري جمعٌ من الباحثين «الإسرائيليّين» إلى حدّ القول أنّه إذا استمرّت الأمور على هذا النحو، فسوف نصل إلى مرحلة تنهار فيها دولة «إسرائيل».

لدينا أيضاً مشهد آخر من الكلام الساري في فضاء التشاؤم. فلقد

* باحث في القضايا الاقليميّة

مضى الكاتب السياسي «الإسرائيلي» أهارون لبرون قبل سنوات ليطرح في كثير من المرارة التساؤل الحادّ، عمّا إذا كانت «إسرائيل» هي حقاً قويّة بالصورة التي تجعلها صاحبة النهي والأمر في محيطها. وهو إذ يجيب بأنَّ «إسرائيل» هي حقّاً قويّة من الناحية العسكريّة، فلا يسعه إلاّ أن يرثي أحوال هذه القوّة ما دامت برأيه غير قابلة للاستعمال.

مثل هذا الشعور يجري التعامل معه الآن، كأحد أكثر الزوايا الحادّة التي يجد فيها «الإسرائيليّون» أنّهم أسرى جدرانها المغلقة. في الماضي القريب، لم يكن ثمّة مشكلة تطرح نفسها على هذا النحو. كانت القوّة قابلة للاستخدام في أيّة لحظة ضد عرب الأراضي المحتلة العام ١٩٦٧، وضد فلسطينيّي ١٩٤٨، ناهيك عن الحروب والمعارك الخاطفة التي اعتاد أن يشنّها الجيش «الإسرائيلي» في جنوب لبنان. وليس من شكّ في أنَّ الوعي «الإسرائيلي» سيمتلئ على مدى أكثر من نصف قرن، بحقيقة أنَّ لدى «إسرائيل» من القوّة ما يُمكّنها من إحراز الانتصار بيُسر نادر، وأنَّ مبدأ القوّة واستعماله حين الضرورة -سواء كتدبير احترازي أو كقوّة ردع في أيّ حرب محتملة- هو المبدأ الذي يستحيل على الدولة العبريّة أن تتجاهله لو هي قرّرت البقاء في منطقة مملوءة بالأعداء. غير أنَّ هذه الحقيقة سوف تأخذ مساراً معاكساً على امتداد العقدين المنصرمين. فهنالك قطاعات وازنة في المجتمع «الإسرائيلي» تلاحظ حقيقة رسّختها تجارب الحروب الماضية، وهي اللّاجدوى من استخدام قوى الحرب الكلاسيكيّة. ولقد أعطت الانتفاضة الفلسطينيّة نماذج أكيدة على الشلل الذي يصيب الآلة العسكريّة «الإسرائيليّة» جرّاء استخدام سلاح شعبي، لم تعتد «إسرائيل» على مواجهته منذ قيامها. ويعترف كثيرون من السياسيّين والخبراء بواقع أنّ «إسرائيل» لم تُظهر أيّ استعداد حقيقي لمكافحة الانتفاضة، فضلاً عن العمليّات الفدائيّة داخل ما يُسمّى «الخط الأخضر»، أو على خطوط إمداد الجيش في الضفة الغربيّة وقطاع غزّة.

ومِن «الإسرائيليّين» مَن يرى أنّ الإثبات البسيط لعدم كون «إسرائيل» قادرة على صناعة الزمن السياسي في المنطقة، هو الحقيقة التي لم تعد تخفى على أحد: فشل منطق القوّة في إنهاء الانتفاضة. فلو كانت «إسرائيل» لا تزال تملك حقيقة القوّة، لاستطاعت كسب معركة استنزاف مروِّعة فُرِضت عليها فرضاً منذ الثمانينيات.

أكثر من ذلك، فإنَّ مِن هؤلاء مَنْ وجد أنّ مِن نتائج الانتفاضة أن استطاع الفلسطينيّون، ولأوّل مرّة، فرض إرادتهم على «إسرائيل»، وتالياً إجبارها -وإن بطريقة غير مكشوفة- على الانسحاب القسري من غزّة، والتفكير بالأمر نفسه في الضفة الغربيّة. ويعترف كثيرون منهم اليوم بأنَّ المُعادين «لإسرائيل» اكتسبوا معارف سياسيّة وأمنيّة فائقة الخطورة، وتتمثَّل بظهور نقاط ضعفها على نحوٍ بيّن. فما لا يُشكُّ فيه، أنّ السجال «الإسرائيلي» الحالي حول قوّة وضعف «إسرائيل» بات يتوسّع باستمرار. ومع هذا التوسُّع تراكمت نزعات التشكيك ضمن مسار دراماتيكي، راحت معه الدولة اليهوديّة تفتقد عوامل القوّة التقليديّة.

على أنّ التحوّل الجيو-استراتيجي منذ احتلال العراق، إلى إخفاقها المدّوي في لبنان وغزّة، سوف يشكّل مانعاً جديّاً من التفكير في شنّ حرب تُعيد التوازن والتماسك لمجتمعها السياسي والعسكري والمدني. والواضح أنّ أحد أبرز الأسباب المُستدعية للخوف لدى «الإسرائيليّين»، هوالتصدُّع الذي أصاب كتلتهم التاريخيّة.

في الماضي مثلاً، كان التشكيك في عمل وأداء القيادتين السياسيّة والعسكريّة يُعتبر عاملاً مهمّاً في إعادة ترميم التصدّعات ومناطق الخلل. أمّا الآن، فقد تعرّضت ما يسمّى بـ«الغريزة القوميّة الجماعيّة» إلى ضرب من الاهتزاز نتيجة المراجعات الذاتيّة، متزامنة مع نشوء مناخات عارمة توحي بنهاية تاريخ كامل من اقتدار الظاهرة «الإسرائيليّة».

واقع الحال أنَّ «إسرائيل» تعيش الآن على آثار مقولة الاحتلال التي بلغت حدّ الإشباع. فمفهوم التوسُّع، خارج ما يُسمَّى «إسرائيل الصغرى»، لم يعد حقيقة إيديولوجيّة قابلة للتنظير، مثلما لم يعد حقيقة سياسيّة قابلة للتطبيق ... بل يبدو أنّه يتراجع إلى الداخل، معبِّراً عن نفسه بتصعيد لاعقلاني وغير مسبوق في حركة الاستيطان. وهكذا ظهر مفهوم التوسُّع، وكأنّه يولد على نشأة أخرى مؤدَّاها: استحالة عودة نظريّة الاحتلال من خلال تقنيّات الحروب الفائقة القدرة. بعد ثورات الشارع العربي، بدت الصورة «الإسرائيليّة» تتموضع في مكان مفارق. ففي هذا التموضع غير القابل للاستقرار في القريب المنظور، لا يجد «الإسرائيليّون» أنفسهم إلاّ أنّهم أمام اختبار مرير مع شعب يريد إنهاء الاحتلال.

المرجع السيّد عبد الهادي الشيرازي راوياً:
حدّثني السيّد «عليّ القاضي» في اليقظة، بعد وفاته

الموضوع: رسالة من آية الله المقدّس السيّد محمّد سعيد فضل الله إلى المرحوم الحاج أحمد بعلبكي، بعثها إليه من النجف إلى لبنان، حول كَشْفٍ حصل لآية الله العظمى السيّد عبد الهادي الشيرازي، رأى خلاله في اليقظة، المقدّس السيّد عليّ القاضي، بعد وفاته، رضوان الله تعالى عليهما.

المصدر: فضيلة السيّد محمّد كاظم فضل الله، نجل المقدّس السيّد محمّد سعيد فضل الله.

أفاد المصدر ما يلي: أنّ الحاج أحمد كان قد عرف بالقصة إجمالاً، فطلب من السيّد محمّد سعيد إن عرف بقيّة القصة أن يكتب بها إليه، فكانت هذه الوثيقة.

تضيف «شعائر»:

* أستاذ المرحوم السيّد محمّد سعيد فضل الله هو المرجع الديني المقدّس السيّد عبد الهادي الشيرازي، وأستاذه الذي زار قبره ورآه، هو أستاذ العلماء العرفاء العارف الكبير والشهير السيّد عليّ القاضي قدس سره. (لم يرد التصريح الكامل باسمه في الوثيقة، بل ورد اسمه السيّد عليّ، وأنّه من أساتذة الأخلاق).

* من المفيد الإشارة إلى أنّ المرحوم الحاج أحمد بعلبكي، من آل «الخنسا» الذين يسكنون في محلة الغبيري بالضاحية الجنوبيّة، وكان يُقال لهم آل بعلبكي، وقد دُفن في مقبرة محلّة «بئر حسن» في بيروت، وبعد دفنه بسنين -لم يتمّ تحديدها- انكشف قبره نتيجة حفر قبر بجواره، فكان الجسد سالماً، وكأنّه دفن الآن، وحاجباه طبيعيّان تماماً. «شعائر»

السيّد علي القاضي

السيّد عبد الهادي الشيرازي

السيّد محمد سعيد فضل الله

الحاج أحمد الخنساء البعلبكي

بسم الله وله الحمد

المؤمن لَيَسْكُنُ إلى أخيه ويأوي إليه كما يأوي الطير إلى وَكرِه، ويبثّ إليه ما لا يذكره لغيره، فلا يطلع على ما أحرّره أحداً لما تقدّم، إنّ الحديث السابق الذي حدّثتك به عن السيّد الأستاذ من خروجه إلى وادي السلام ورؤيته ما رأى كان مُجملاً، وقبل أيّام أطلعني على جملة من تفصيله وهناك قرائن في كلامه يظهر منها أنّ له تفصيلاً آخر لم يظهر بعد، وإن أطلعني أخبرك إن شاء الله، والتفصيل الذي أطلعني عليه، وإن لم يرخّص بنقله، ولكن ترخّصت منه بنقله لك.

قال: إنّي كنت في الوادي (أي وادي السلام) في الساعة الثانية أو الثالثة من اللّيل، وكان في ذلك الوقت تمطر الدنيا خفيفاً. فجلست عند قبر أستاذ من أساتذتنا في الأخلاق والموعظة يسمّى بالسيّد عليّ، فقلت على رسلي غير خائفٍ ولا مبالٍ: يا سيّد عليّ كيف حالك؟ أين تلك المواعظ التي كنت تلقيها .. أين .. أين .. أين .. إلخ. قال: فما كان إلّا ورأيت ضياءً قد انفرج من جانب القبر، ووقف ذلك الشخص بعينه وبصورته الدنيويّة ولباسه الدنيوي من عباءة وجبّة وعمامة وغيرها، ولكنّ الثياب بيض تُضيء، ومن شدّة البياض تُضيء المكان المظلم، ورأيت الوادي لا قبور فيه ولا قباب، بل خلائق وعالم آخر وهو غاصّ بأهله، ورأيتُ أشخاصاً أعرفهم بالدنيا وقد وقفوا بجانب السيّد المتقدّم ولكنّهم لا يطيقون الكلام أو لا يتكلّمون. وتكلّم السيّد معي فقط، وقال لي: أقبل إلينا وسِرْ معي سيراً مختصراً فأريك بعض ما عندنا، لا تخف إنّك لا تموت بذلك، ويقول لي أنظر إلى هذا الشيء .. وهذا الشيء و .. و.. ولم يبيّن لي سيّدنا. وقال لي سيّدنا: ورأيت بساتين وثماراً، ورأيت أنهاراً بين السماء والأرض تسيل في باطن الزجاج وكأنّها لُفّت بالزجاج.

وقال سيّدنا: ممّا قاله لي السيّد المرحوم وخاطبني به: الأنوار أنوار، والظلمات ظلمات. رذائل الأخلاق هي الظلمات ومحاسنها هي الأنوار، رذيلة البخل تُردي. إلى هنا، لم يبيّن سيّدنا ما قاله له بعدُ من الرذائل والمحاسن، نعم نقل لي بالمعنى أنّه قال: إنّ الطريقة التي أنت عليها هي المنجية، قلت لسيّدنا: ما هي؟ قال: رياضة النفس وتخليصها من الرذائل وتحليتها بالفضائل (أقول العجب أنّه لم يذكر له تدريس الفقه والأصول وفهم المعاني الحرفيّة وتطلّب الرياسات واستجلاب الأموال، مع أنّها من أهمّ ما تكون في الأنظار إنّا لله وإنّا..) قال سيّدنا: أخبرني عن أشخاص ولعلّهم من الأساتذة لسيّدنا أو رفقائه من العلماء حسبما استظهرتُ من كلامه، فقد قال: إنّ فلاناً نجا، إنّ فلاناً هلك، وإنّ فلاناً موقف ..إلخ. قال لي سيّدنا: وكنت أظنّ بهذا الشخص أن يوقف لأنّ حاله كان كحال أبناء زماننا من المزاحمة على الرياسة والتنافس عليها. قال سيّدنا: أخبرني السيّد المرحوم عن حاله مع علوّ درجته في التقوى والأخلاق، قال: لولا أمير المؤمنين أو لولا جواره (والترديد من سيّدنا) لهلكتُ أو لوقعتُ، والحاصل أخبره أنّ نجاته كانت بواسطة الأمير عليه السلام، (قال سيّدنا: العجيب أنّي كنت رأيته في الطيف قبل ذلك متعلّقاً بحزام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وآخذاً به). ثمّ قال: واستولى عليّ خوف في تلك الحال، حتى أنّي بعد لا أستطيع النظر تماماً إلى السيّد المرحوم، وكان يقول لي أنظر إلى كذا وكذا ويريد منّي التفرّج وأنا لا أستطيع تماماً من الخوف، حتّى تأذّى منّي من شدّة ما عراني من الخوف، وقال لي: لماذا تخاف؟ إنّ هذا العالم ليس بشيء يُخاف منه، يأتي إليه كلّ إنسان قابل. قال سيّدنا: وكان ينتهرني كثيراً لذلك، وقد رأيتُ عند حصول هذا الانكشاف أنّ شخصاً يُعذّب بالعطش ويطلب الماء ليشرب مع كثرة الأنهار فلا يُسقى، ويُقال له إنّك موقوف من الجهة الفلانيّة. (أي بسبب الأمر الفلاني).

وربّما ظهر من محاني كلام سيّدنا أنّه رأى ملائكة العذاب ولكنّه لم يبيّن ولو بالإجمال. قال سيّدنا: ثمّ ذهب السيّد ومَن معه فذهب عن بصري جميع ما كنت أراه، وعاد الوادي كما كان، ثمّ قال سيّدنا: لو طالت تلك الحالة في ذلك الوقت لكنتُ قَضيت، والآن أعتقد أنّها لو صارت لقضيتُ من الخوف والوجل، وكلّما ذكرتُها يتغيّر حالي إلى اليوم الثاني من اليوم الذي أذكرها فيه، ولذا يتأذّى منّي إذا ذكرتُها أمامه وسألته عن خصوصيّاتها، وبالحقيقة إنّ هذا الحديث ممّا يُكتب، وسألت سيّدنا هل صنعتَ عملاً لذلك أو رياضة؟ قال: لا. ولا أعمل (إلّا) ما تروني أعمله ممّا تعهد ... هذا ما عندنا جديداً من أخبار الآخرة.

رسالة بخط السيد محمد سعيد فضل الله – ص ١

رسالة بخط السيد محمد سعيد فضل الله – ص ٢

دوائر ثقافية

مواقف: الحريّة وتعدّد التعريفات	الشيخ مصباح اليزدي
فرائد: حُسن الظنّ بالله تعالى	أسرة التحرير
قراءة في كتاب: «الإسلام في الأرجنتين»	سلام ياسين
بصائر: مقالة الزائر	محمود حيدر
مفكرة: حِكم ولغة / تاريخ وبلدان / شعر	إعداد: جمال برّو
مصطلحات: «الهُدى والضلال»	المرجع السيّد الحائري
إصدارات: عربية / أجنبية / دوريات	ياسر حمادة

الحريّة وتعدّد التعريفات

الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

يجري على الحرية في مجال التعريف، ما يجري على غيرها من المفاهيم، التي تنقسم إلى طائفتيْن:

أ ـ المفاهيم العينيّة والإنضماميّة: وهي المفاهيم التي لا يستعصي الفهم كثيراً حينما نستخدمها. من قبيل الماء، والحركة، والبرق، وغيرها من مفردات العلوم الطبيعيّة، أو العين، والأذن، والكبد، والمعدة، ونظائرها من مفردات العلوم الطبيّة، فهذه كلّها مفاهيم عينيّة، ومُراد المتحدّث منها واضح لدى الجميع، وإن كانت هنالك موارد ربّما يلفّها الغموض أيضاً، من قبيل ما إذا كان الماء المضاف ماءً أم لا؟

ب ـ المفاهيم الذهنيّة والإنتزاعيّة: نعني بها المفاهيم الفلسفيّة، وتلك التي تُستخدم في الكثير من العلوم الإنسانيّة، نظير علم النفس، وعلم الإجتماع، والحقوق، والعلوم السياسيّة وما شابهها، فإنّ التفاهم حينئذٍ يصبح صعباً، إذ ربّما يكون للمفردة الواحدة تعاريف متعدّدة ومختلفة، ولذا قلّما تصل البحوث حول هذه المفردة إلى نتيجة موحّدة.

المفردات وغموض التعريف

على سبيل المثال، ذكروا لمفردة الثقافة (Culture) كثيرة التداول، ما بين خمسين إلى خمسمائة تعريف، وقلّما يستطيع أحدٌ أن يُقدِّم تعريفاً دقيقاً وكاملاً للثقافة، وتبعاً لذلك سيصبح مفهوم «التنمية الثقافيّة» غامضاً ومدعاة للإنزلاق، وعلى أثره ستغور الأحاديث حول الثقافة والتنمية الثقافيّة في بحبوحة من الغموض أيضاً.

وهكذا شأن مفردة الديمقراطيّة (Democracy) أيضاً، فبالرغم من أنّ هذه الكلمة تستخدم بمعنى «حاكميّة الشعب» أو «حكومة الشعب على الشعب»، لكنّ معناها ليس واضحاً على وجه الدقّة، فهل إنّ هذه المفردة تفيد نوعاً من الحكم؟ أم نمطاً معيّناً في علاج القضايا الإجتماعيّة؟

والمثال الآخر مفردة الليبراليّة (Liberalism) التي تعني تبنّي الحريّة، وبذلك تكتسب بريقاً خاصّاً، ولكن لم يتمّ بيان معناها بشكلٍ دقيق، فضلاً عن أنّ مشكلة الترجمة وتحويل المفردة إلى لغة أخرى يزيد الغموض في مثل هذه الكلمات.

تحديد الموارد أولى من التعريف

ولم تخلُ مفردة «الحريّة» من هذا الغموض والإختلاف في المعاني والإستنباطات أيضاً، فقد ذكر بعض الكتّاب في الغرب ما يقرب من مائتي تعريف للحريّة، وهذه التعريفات تتشابة تارةً وتتعارض أُخرى.

ولغرض أن يتحقّق التفاهم في البحوث الخاصّة بالحريّة، يتعيّن الوصول أوّلاً لتعريف مشترك لها، ومن ثمّ الحوار بشأن متعلّقاتها.

ربّما تُستخدم كلمة الحريّة بمعنى الإختيار في مقابل الجبر، وقد يكون المراد منها الإنسان الحرّ في مقابل المملوك والعبد. وتارة يُقال إنّ فلاناً يتمتّع بحريّة الرأي، أي أنّه ذو رأيٍ مستقلّ في قبال التقليد بالرأي، وفي بعض الحالات تُستخدم الحريّة أيضاً بمعنى أن يفعل الإنسان ما يشاء ويقول ما يحلو له، وبعبارة أخرى أن لا يقيّده قيد أو شرط في قوله وفعله.

والنتيجة هي: نظراً لما تتّصف به مثل هذه المفاهيم الذهنيّة –ومن بينها مفهوم الحريّة– من اتّساع ومرونة، فإنّه يتعيّن بدايةً التوصّل إلى معنىً واضح ودقيق لها قبل الحديث والردّ على أيّ سؤال حولها، ومن ثمّ مواصلة البحث، لأنّنا إذا أردنا مقارنة التعاريف كلٍّ على حدة مع التعريف الإسلامي، والبحث في انسجامها أو عدم انسجامها مع الشريعة، فسنواجه بحثاً في غاية التشعّب والصعوبة.

بناءً على هذا، يبدو أنّ أسهل الطُّرق للمضيّ قُدُماً في البحث، هو تحديد موارد مفردة الحريّة ومصاديقها، بدلاً من البحث حول تعريفها ومعناها. فمثلاً يُطرح السؤال التالي: هل الصحافة حرّة في الإسلام وما هي حدود هذه الحريّة؟ هل العلاقات الجنسيّة حرّة ومطلقة في الإسلام والمجتمع الإسلامي؟ هل الإساءة للآخرين والإستهزاء بهم وإهانتهم أمر مطلقٌ ومسموح به أم لا؟

ونتيجة الكلام هي أنّ تعاريف الحريّة متنوّعة جدّاً، وليس من الضرورة والسهولة إلى حدٍّ كبير الإتفاق على تعريف واحد، وإنّما المهمّ هو إيراد الموارد الخاصّة بالحريّة والبحث فيها.

حُسن الظنّ باللّه تعالى
وقنوت الحُكماء

إعداد: أسرة التحرير

تواصل «شعائر» اختيار لُبابٍ من «فرائد» كُتب مُختارة، امتازت بوفرة المضامين المُختصرة المفيدة. ما يلي، فرائد ممّا ورد في كتاب (الكشكول) للشيخ البهائي العاملي، وكتاب (سوق المعادن) للشيخ محمد علي عز الدين العاملي، وكتاب (آداب النفس) للسيّد محمد العيناثي العاملي.

الرجاء وحسن الظن بالله تعالى

(آداب النفس): حدّث ابن مسعود قال: «أتت امرأة من الأنصار رسولَ الله صلّى الله عليه وآله بعشرة من الأولاد، قالت: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله، هؤلاء أولادي، هم معكَ فاغزُ في سبيل الله، فجَعل رسول الله صلّى الله عليه وآله يُقرِّبهُم ويغزو بهم، وكانت تسأل عنهم، حتّى استُشهد تسعةٌ منهم، وكانت بِمَن مضى منهم أشدّ فرحاً بِمَن بقي. حتى بقي واحدٌ وهو أصغرهم، وكان فيه التواء إلى الأفعال وإشفاق إلى الذنوب، فمرض وأمّه تُمرِّضه وتحرق عليه إشفاقاً، قال: يا أمّاه! إخوتي كانوا خيراً منّي ما بكيتِ عليهم، فما هذا البكاء مع ما فيّ من الزيغ والالتواء؟ قالت: لذلك أبكي، قال: يا أمّاه، أرأيتِ لو أسأتُ إليكِ وفرّطتُ في حقّك، وكانت النار بين يديك تضطرم، أكنتِ تطرحيني فيها؟ قالت: لا، قال: أما تعلمين أنّ الذي خلقني أرحم بي ممّن وَلَدني؟ ثمَّ مات. فقال صلّى الله عليه وآله: أبشري، فإنّ ابنك قد غُفِر له بحُسن ظنّه بربّه».

في الصداقة

(آداب النفس): قال رجلٌ لُمطيع بن إياس: قد جئتك خاطباً، قال: لِمَن؟ قال: لمودّتك، قال: زوّجتك إيّاها وجعلت الصِداق أن لا تقبل فيّ مقالةَ قائل. وممّا قيل شعراً:

أحبّ من الفتيان كلَّ مؤاتٍ ... وكلَّ غضيضِ الطرْفِ عن عثراتي
يوافقني في كلِّ أمرٍ أُحبُّه ... ويحفظني حيّاً وبعد وفاتي
فمَن لي بهذا الشيء إنْ قد وجدتُه ... فقاسمتُه مالي ومن حسناتي.

الغِيبة المهلكة

(آداب النفس): إعلم أنّ الغِيبة هي الصاعقة المهلكة، ومثل مَن يَغتاب الناس مثل من نَصَبَ منجنيقاً يرمي به حسناتِه شرقاً وغرباً. وذُكرت الغيبة عند أحدهم فقال: لو كنتُ مغتاباً لاغتبتُ أمّي، لأنّها أحقّ بحسناتي.

قنوت أفلاطون وفيثاغورث

(كشكول البهائي): كان قنوت أفلاطون الإلهي بهذه الكلمات: «يا علّة العِلل، يا قديماً لم يزل، يا مُنشيء مبادىء الحركات الأُوَل، يا مَن إذا شاء فعل، إحفظ عليّ صحتي النفسانيّة ما دمت في عالم الطبيعة». وكان دعاء فيثاغورث: «يا واهب الحياة، أنقذني من دَرَن الطبيعة إلى جوارك على خطٍ مستقيم، فإنّ المُعوَجّ لا نهاية له».

عَزَّ فَحَكَمَ فَقَطَع

(كشكول البهائي): قال الأصمعي: «كنت أقرأ: السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم، وبجنبي أعرابي، فقال: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله قال: أَعِد، فأعدتُ، فقال: ليس هذا كلام الله، فانتبهت فقرأت: والله عزيز حكيم، فقال: أصبت هذا كلام الله، فقلت: أَتقرأُ القرآن؟ قال: لا، فقلت: فمن أين علمت؟ فقال: يا هذا، عزَّ فَحَكَم فَقَطَع، فلو غَفَر ورَحِمَ لَما قَطَع».

إتّقِ الفضيحة

(سوق المعادن): قال بعض العرفاء: «أقِلَّ من معرفة الناس، فإنّك لا تدري حالك يوم القيامة، فإنْ تكن فضيحةٌ كان مَن يعرفك قليلاً».

أبو الأسود الدّؤلي

(سوق المعادن): قال زياد ابن أبيه لأبي الأسود الدؤلي (من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام): لولا أنّك قد كبرتَ لاستعنّا بك في بعض أمورنا، فقال: إنْ كنتَ تريدني للصراع فليس عندي، وإن كنتَ تريد عقلي ورأيي فهما أوفر ما كان.

وفيه أيضاً أنّ أبا الأسود كان نازلاً في بني قُشير، وكانوا يرمونه باللّيل حَنَقاً عليه لتشيُّعه، فأصبح فَشَكا ذلك، فقالوا: ما نحن نرمي ولكنّ الله يرميك، فقال: كذبتم، لو أنّ الله يرميني لما أخطأني.

الحقيقة الضائعة

«الإسلام في الأرجنتين»

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: «الإسلام في الأرجنتين».
المؤلّف: الدكتور الشيخ محمّد صادق الكرباسي.
الناشر: «بيت العلم للنابهين»، بيروت ٢٠١٠.
يأتي هذا الكتاب: (الإسلام في الأرجنتين)، ضمن سلسلة من الكتب لمؤلّفها الشيخ الكرباسي، للإضاءة على واقع المسلمين -ماضياً وحاضراً- في مختلف دول العالم، ويتناول الإصدار الأخير منها مبدأ وفود المسلمين إلى الأرجنتين، ومختلف الظروف التي عايشوها وصولاً إلى واقعهم الحالي، ويوثّق ذلك بالأرقام والإحصاءات والمستندات.

يرجع وجود المسلمين في الأرجنتين (بلاد الفضة) إلى العهود الأولى لاكتشاف القارّة الأميركيّة، ويرى البعض أنّ الأندلسيّين المسلمين الذين تنصَّروا قهراً بعد سقوط الأندلس عام ١٤٩٣م، والذين يسمّيهم الإسبان بالمورسكين، هم أوّل المهاجرين المسلمين إلى الأرجنتين، وتعرّضوا فيها لما تعرّض له إخوانهم في الأندلس، ولا سيّما وأنّ تلك البلاد كانت واقعة تحت سلطة الإسبان.

وفي فترة لاحقة وفدت إلى الأرجنتين هجرات لمسلمين، وعلى مراحل، وبخاصّة من بلاد الشام؛ كان أصحابها في معظمهم يبحثون عن الأمن والاستقرار، كما شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي هجرة كبيرة للعرب من سوريا، وأعقبتها هجرة ثانية في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، وازدادت أثناء الحرب العالميّة الأولى وبعدها.

ليس هناك إحصائيّة ثابتة حول عدد المسلمين في الأرجنتين، فبعض المصادر تقدّره بنحو ٩٠٠ ألف مسلم، أي ٢,٥٪ من مجموع السكان البالغ عددهم أكثر من ٣٧ مليون نسمة، يعيش الكثير منهم في العاصمة، لكنّ بعض المراجع الإسلاميّة المهتمّة تقدّر عدد العرب من المسيحيّين والمسلمين بنحو مليون معظمهم من سوريا، وبعضهم يصل بالعدد إلى ٣,٥ مليون، خُمسهم يعيش في العاصمة بوينس آيرس، ومنهم ٢٠٠ ألف من المسلمين، ولكن من الثابت أنّ حركة إقامة بناء المساجد والجمعيّات بدأت تزداد في السنوات الأخيرة، ولكن ببطء.

ومن الملاحظ في حركة المهاجرين إلى الأرجنتين، أنّ هجرة العرب -مسلمين ومسيحيّين- من بلاد الشام انقطعت بشكل عام، وفي المقابل -كما يقول المؤلف- تدفّقت أعداد كبيرة من المسلمين الباكستانيّين والبنغال والهنود إلى هذه البلاد، فقلبت الموازين حتّى أصبحت نسبة المسلمين غير العرب مقارنة مع العرب ٥٥٪، وكان للوجود الإسلامي الكبير دافعه في حمل السلطات الأرجنتينيّة المستندة في قواعد الحكم إلى الديانة الكاثوليكيّة، على إصدار قانون يتيح للمسلمين الحصول على عطَل رسميّة لعيدَي الفطر والأضحى والسنة الهجريّة، كما سمحت الحكومة بتقييد الأسماء الإسلاميّة للمواليد الجُدد في سجلّات الدوائر الرسميّة، وهنا يصرّح الداعية محمّد يوسف هاجر رئيس «المنظمة الإسلاميّة لأميركا اللاتينية والبحر الكاريبي» التي تضمّ ٣٣ دولة، أنّه تحمّل المشاقّ كي يختار لوليده اسم «حسين»، وتمكّن من ذلك بعد بذل الجهود المضنية. وقد سمحت السلطات ابتداءاً لخمسة عشر اسماً إسلاميّاً، ثمّ ارتفع العدد إلى ثلاثين اسماً.

التحوّل إلى الإسلام

تعدّ الأندلس بعد السقوط أبرز حالة شهدتها البشريّة تمّ فيها قسر الناس على تغيير دينهم تحت مطرقة محاكم التفتيش، ولو تركت الجيوش الأوروبيّة مُسلمِي الأندلس وشأنهم لاختلف الأمر كليّاً، لأنّ الناس بشكل عام تقبّلوا الإسلام طواعية، وبخاصة أنّه جاء مكمّلاً للأديان السماويّة، ولم يكن مُلغياً لها أو معادياً، بل ترك أصحاب الأديان وشأنهم تحت قاعدة قرآنيّة مُحكَمة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ..﴾ البقرة:٢٥٦.

من هنا، فإنّ التعرف على الإسلام وقراءته من جديد يفتح الآفاق لدى الآخر تقبّلاً أو إيماناً، وينقل الدكتور الكرباسي عن استبيان أعدّته جامعة «جورج تاون» الأميركيّة عام ١٩٩٨م، خلُصت فيه إلى أنّ ٨٪ من مواطني أميركا اللاتينيّة، ومن ضمنها الأرجنتين، اعتنقوا ديناً آخر غير دين عائلاتهم الأصلي، ومن ضمن هؤلاء المتحوّلين عقائديّاً، نسبة عالية اختارت الإسلام.

ويعزو الدكتور الكرباسي التحوّل من المسيحيّة إلى الإسلام في أميركا اللاتينيّة إلى أسباب عدّة أهمّها:

أوّلاً: إنّ الإسلام يدعو للمساواة ولا يعترف بالفوارق العِرقيّة والإجتماعيّة.

ثانياً: يؤمن الإسلام بالأنبياء السابقين على الرسول صلّى الله عليه وآله، وبخاصة النبيّين موسى وعيسى عليهما السلام ويحترمهم.

ثالثاً: الإسلام يربط الإنسان بخالقه مباشرة من دون الحاجة إلى وساطة مؤسّساتيّة كوساطة الكنيسة.

رابعاً: المسيحية تزعم أنّ المسيح إله، وهي تقول بالتثليث، وهذا خلاف العقل والمنطق.

خامساً: القوانين الإسلاميّة أقرب إلى الفطرة والعقل، ثمّ إنّ الدخول في الإسلام طوعيٌّ وليس قهريّاً.

سادساً: الإسلام –وخلافاً للكنيسة– لا يتبرّم من الحوار والنقاش أيّاً تكن عناوينه.

شاهد من الواقع

يُعتبر النائب الأرجنتيني السابق عن حزب «الحركة الاشتراكيّة» سانتياغو پاز بولرج، والذي اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢م، بعد رحلة تقصٍّ وبحث دامت ثلاث سنوات، من أبرز نماذج المستبصرين بنور الإسلام الذين يقف المؤلّف الشيخ الكرباسي عند أسباب تحوّلهم.

يقول پاز –الذي درس العلوم الدينيّة وأصبح إسمه الشيخ عبد الكريم پاز– في بيان سبب تحوّله إلى الديانة الإسلاميّة: «التحقت بكليّة الفلسفة بالجامعة الوطنيّة، وفي السنة الثانية درست الفلسفة اليونانيّة وتعرّفت على معنى التوحيد، وبعد ذلك التقيت بمدرِّس سوري لديه مركز إسلامي صوفي ونظرة عن الشيعة، وبعدما تعرّفت على الفرق بين التشيّع والتصوّف، بانَ لي أنّ التشيّع هو طريق الإسلام الصحيح».

نسبة المسلمين في الأرجنتين ٢،٥٪ من مجمل السكان، وفي السنوات الأخيرة وفدت إليها أعداد كبيرة من مسلمي القارّة الهنديّة

يُضيف الشيخ پاز: «إنّ الإسلام هو النور الإلهي الذي يدخل قلب المرء من دون استئذان إذا وجده مؤهّلاً لذلك، هذا ما يشعره كلّ من استبصر بالإسلام، حيث يجده دين الفطرة، فليس فيه ما يخالف العقل، ومن هنا فإنّه يتماشى مع كلّ زمان، ويمكن تطبيقه في كلّ مكان مهما اختلفت المفاهيم والعادات وبالتالي القوميّات، ويصل إلى كلّ الأعمار والفئات».

ويقارن الشيخ پاز بين إسلام أهل المدينة وإسلام أهل الأرجنتين، فيرى أنّ: «دخول الإسلام إلى الأرجنتين كان كدخوله إلى مكّة والمدينة، فما أنْ عرف الوثنيّون العرب فلسفة الحياة في الإسلام وبالأخص عن طريق الرسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، إلّا وانجذبوا إلى تلك الأفكار ذات الحيويّة والفاعليّة على جميع المستويات»، معبّراً في الوقت نفسه عن أسفه لأنّ: «الإشكال يبقى مع الذي يجهل الإسلام وتعاليمه، وما على المسلم إلّا العمل على إيصال الكلمة إلى غير المسلمين، بل أيضاً إلى المسلم الجاهل غير العامل بتعاليم دينه، والذي أصبح كَلاًّ على الإسلام والمسلمين، فالمُسلم الذي يعيش في بلدان غير إسلاميّة ينبغي أن يُظهر الإسلام بسلوكه قبل لسانه، كما فعل المهاجرون الأوائل في الحبشة، ولاحقاً في أندونيسيا وماليزيا وغيرهما».

مقالة الزائر
حين عرفتُ السيدة بالغَيب

محمود حيدر

إلى السيّدة زينب بنت عليّ عليهما السلام
في غيبها وشهادتها وغيبتها العظمى

ما كان عهدي بالمقام، عهدي بما آنستُ به من الأمكنة. ولا كان عهدي بِمَن في المقام، كمثل من حَبَبْتُ من الأحبّةِ وأمسوا طيَّ التراب. كأنَّ المطرحَ ومن فيه ظهورٌ تعشّقَهُ الغيبُ. فإذا هو على صورةٍ بعدَ صورةٍ، أو على تجلٍّ يليه تجلٍّ آخر. فلا يسري الحالُ في الحال إلى أحوال أُخَرْ، إلّا كنفس واحدة: متى جُعِلَتْ وجِدَتْ. ومتى وُجِدَتْ وُجِدْتَ بحُبٍّ. ومتى وُجِدَتْ بالحُبِّ ظهرتْ في العِلِيِّين. ثمّ لَتظهرنَّ على النشأةِ نفسِها. ثمّ لَتعودَنَّ إلى أصلِها فلا يبقى في العَوْدِ إلّا الأصل.

كان المقام من قبل أنْ لم يَكُنْ. كان في المحلِّ البعيدِ، البعيدِ، البعيد .. القريبِ، القريبِ، القريب. بَعُدَ المقامُ وغابَ. ثمّ دنا وأشرق. بَعُدَ بأمرٍ، ودنا بأمرٍ. قد غدا في آنٍ مُبتَدِياً مُبتعِداً. حتى لقد صِرْتَه وصارَكَ. سكنتَهُ، فأسكنكَ القلب. فلن تلبث أنْ تفارقَهُ على سبيل السهو، حتى تعود إليه كتائهٍ أخذَتهُ الغفلةُ ثمّ نجا.

كان المقامُ على القُرب وكنتُ بعدُ طِفلاً. أمسكتِ الأمُّ باليمين ومضتْ بابنِها في سماءِ الدعاء. قالت لـه، قُل ما شئتَ أن تقول. اهتُفْ بالحرف يُفتحْ لك بابُ الكون. وقالت، سيُفتح لك. وستجد الصورةَ غير الصورة. فلا تعود ترى، وقتئذٍ، غير المعنى.

وقالت: كُن كمَن سَمِعَ الكلماتِ أوّلَ مرّةٍ فتدثَّر بها، فسكن القلبُ وأمِنْ. وقالت: ادْعُهُ بالإسم يستجيب لك. قل ما تشاء. فأنت هنا على الصراطِ. قد استمسك به من احتجبَ عنك وراءَ الجدار. فإنّ مَنْ في المقام يؤيِّدكَ. فها أنتذا تحت أظلّةِ الأخضر المصفّى. مؤتنسٌ جوار المعدن القديم. فلو أنت شئتَ الجمالَ فهذا الطريقُ إلى الدار.

حفظ الطفلُ الكلماتِ عن ظهرِ قلب. نَثَرَهَا في الأرجاء وفوق القبر. وهو صَدَّق مَيْلَ القلب: أنْ إذا سألَ سائلُ القلبِ أجيبَ.

وإذا قَصَدَ الأمرَ بلغَ نَفْسَ الأمرِ. وإذا استفهمَ شُقَّ لـه بابُ الفَهْم. وكان ساعتئذٍ كالناظر بحسْنِ الظنّ، أنْ قد أتاه اليقينُ على بهائه وحُسنِه.

***

ما كان عهدي بمَن في المقامِ يومئذٍ، عهدي بمَن آنستُ بهم في أمكنةِ الأنْس. ما عرفتُ إلّا بعدَ عمْرٍ أنَّ عَهْدَ السيّدةِ على الطفل كمِثْلِ طائرٍ حطَّ على كَتِفَيهِ من محلٍّ رفيعٍ. جاءه العهدُ كمسّ مَلَكيٍ لا شِيَةَ فيه. لا قِبَلَ للقُرب به ولا للبُعْد، ولا كذلك للجوارح، أو حساب الحواس. كأنّ خيطاً من نورٍ شقّ الحاجبَ الفضيَّ، ثمّ سرى كومَضٍ في الصدر.

ما عَلِمَ الطفلُ يومئذٍ ماذا حلَّ في الصدْرِ. حتى إذا انتبه بعد سنينَ، عرف أنّ المقامَ تعلَّقَ بزاويةٍ ما في القلب.

وأنّ مَن في المقام دعاه بالاسم.

وأنّه استأذن لـه بالدخول.

وأنّ محلّاً حُفِظَ لـه للقيام، والقعود، والمؤانسة.

وأنّ الطريق إليه عُرِفْ.

وأنّ مَن به، وفيه، وإليه، أخَذوا بناصية الطالِب إلى المطلوب . . فإذّاك يعلمُ من هو، وأين هو، ومن أين جاء، وإلى أيّ مآلٍ يؤول.

***

سيكون لي أن عرفتُ السيّدةَ بالغيبِ. فلا تُعرفُ السيّدةُ في المحلِّ المعروف إلّا بالغيب. فهي حافظةُ الغيب. أخلصتْ إلى السرِّ فاستودَعَها الغيبُ السرَّ. واستودَعَ نَفَسَهُ نَفْسَها فَمَنَحَها البقاءَ في الجوار . .

فمَن جاوَرها جاورهُ . .

ومَن أحبّها أحبَّه . .

ومَن قرُبَ المقامَ قرُبَ الميزان . .

ومَن وَزَنَ بالميزان فقد أقامه بالقسطِ . .

ومَن استقام على النشأة الأولى أدركته النشأة الأخرى. فما حادَ وما ضَلّ.

***

رفع الزائر الميزانَ فرفعه الميزانُ، فتعشَّق الزائر حالئذٍ الوزنَ فتعشّقه الوازن والموزون.

صار الواحد في الكُلّ، والكُلّ في الواحد. فقد غدوتَ الآن أيّها الساري في مستهلّ الطريق؛ منه إلى الباب، ومن الباب إلى المدينة. وفي المدينة الكلامُ كلّه . . مبتدأ الحرف، ومصدر الإشارة وأوّل المطر. فيها عُلِمَتُ الأسماءُ، وبها تعلّم آدمُ الأسماء كلّها.

في المدينة المسرّة والنجاةُ من الغمّ.

وفيها استعصم الذين حفظوا القول الثابتَ، بالقولِ الثابتِ.

وفيها يُمسي من يعمل بما تعلَّم، كنجمٍ أضاءَ البرّ والبحر.

وفيها يعرج في السموات السبع، مَن صدَّقَ الكتاب، وهَامَ بالعبارة.

وفيها مَن إذا همَّ بالحرفِ صارت باؤه نقشاً كشمس الضحى فوق باب المدينة، وصار هو نقطة الباءِ من غير سوء.

***

علمتِ السيّدةُ بما علِمَتْ. فزيَدتْ من العلم علماً بالعلم. وحَفِظَتْ المدينةَ وأهَلَها ببابِ العلمِ. وبقيت المدينةُ ومن عليها ما بقيت الأزمنة . . .

ترتحلُ السيّدةُ بالحقّ من الحقّ في الحقيقة. وتعرُجُ في الحقّ من المدينة، إلى الباب، فالأهل. وتحفظ بعد رأس الحسين وجَهَ الحق من أيّ شَوْبٍ. إذْ ذاك، وبعد هُنيهة، سيكون للسجّاد بعد أبيه بعد جدّه، بعدَ المدينةِ، حفظُ السفينة.

إنّها هنا الآن. كأنّها القَبْلُ والبَعدُ، فإن نظَرْتَ المقام وجَدْتَ ما لَمْ تجد . . ولئن وجَدْتَ من فيه أحضَرْتَ ما لا يقدرُ أن يُحضِرَهُ التائهون في العتمة.

ثمّ إنّك لو قَصَدْتَ حصَّلتَ. فمتى هي قالت دلَّت، وإذا أقبلتِ للصلاة هفَّت الأملاكُ إلى الجماعة. كأنّ الولاية للسيّدة محفوظة هناك في جوار العرشِ. فلا يَشْهُدها إلّا حَمَلَةُ العرشِ، والمقرَّبون، فالأولياءُ. ثمّ أولئك الذين استغرقوا في المقام فاستشفَّ الفؤادُ، وانقشعت الرؤية فحقَّت لهم مطالع الشمس، وتبيّنت إليهم مواقعُ النجوم.

***

قالت لي، أُنظرُ المقام، تدخل المقام.

وقالت لي، لو ارتَدَيْتَ حزني لألِفتَهُ . . ولو قَرَعْتَ بابي لغدوت مِن فَوْرك بين أهلي . .

ثم قالت: لو حَلَلْتَ في أبحُرِنا لركبتَ السفينةَ وأمسكتَ خيوط الشمس . . والأقمارُ أمست طيَّ يديك . .

والأنجمُ أضحت تحت سطوة الأصابع . .

إنّك لو سَمَوْتَ قليلاً، وفارقت الشمسَ، والأنجمَ، وفردوسَ البرِّ والبحرِ لكُنْتَنَا، وكنّا معاً معه في سمائه الأعظم.

وقالت لي، لا تَقنط لحزنك. فاجعله كما جعلناه، جَنَّةً.

وسيُنبئُكَ مَن معنا أن كنْ من أصحاب الحزن، فإنّ «صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه فاقد حزنه في دهر».

ثمّ قالت: قد علمنا أنّ حزنَنَا هو حقيقة الحزن، وأنّ الحزن معنا حقيقة من حقيقة. وأنّ المحزون في حقائقنا كشجرة حلا تفّاحُها، فكان لآكلها القيام في درِعِنا الحصينة.

***

أيّتها السيدة.. يا أمّي.

قد أشهَدْتِني المقام بالمقام.

حتى لقد أوشكتُ أن أَعبرَ بالحواسِ الخمس، السمواتِ السبع. فإنّي لأُشْهِدَهُ بعد كلّ وترٍ ﴿والشفع والوتر﴾ ﴿هل في ذلك قسمٌ لذي حجرٍ﴾. .؟

الزهراء

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله

كيف يدنو إلى حَشايَ الدَّاءُ ... وبقلبي الصِّدِّيقةُ الزهراءُ

مَنْ أبوها وبعلها وبنوها ... صَفْوَةٌ ما لِمِثلِهِمْ قُرناءُ

أُفُقٌ ينتمي إلى أُفُقِ الله ... وَناهِيكَ ذلك الإنْتِماءُ

وكِيانٌ بناه أحمدُ خُلْقاً ... وَرَعَتْهُ خديجةُ الغرّاءُ

وعليٌّ ضَجيعهُ يا لِرُوحٍ ... صَنَعَتْهُ وباركته السَّماءُ

أيُّ دَهْماءَ جلّلتْ أُفُقَ الإسلام ... حتى تنكّر الخُلَصاءُ

أطعموكِ (الجَفاءَ) من بعد (طه) ... وعن الحبّ نابَتِ البَغْضاءُ

وأُضيعت آلاءُ أحمدَ فيهمْ ... وضَلالٌ أن تُجحدَ الآلاءُ

أو لم يعلموا بأنّك حِبّ ال.. ... مُصطفى حين تُحفظ الآباء

أفأَجْرُ الرَّسولِ هذا، وهذا ... لِمَزيدٍ من العَطاءِ الجَزاءُ

أيُّها الْمُوسِعُ البَتولةَ هضماً ... ويكَ ما هكذا يكونُ الوَفاءُ

بُلْغَةٌ خَصَّها النَّبيُّ لذي القربى ... كما صرّحتْ به الأنباءُ

لا تُساوِي جُزءاً لِما في سبيل ... الله أَعْطَتْهُ أُمُّكِ السَّمْحاءُ

ثُمّ فيها إلى مودّة ذي القربى سبيلٌ ... يمشي به الأتْقياءُ

لَوْ بها أكرموكِ سُرَّ رسول الله ... يا ويحَ من إليه أساءوا

أيُذادُ السِّبطانُ عن بُلْغَةِ الْعَيْشِ ... ويُعطى تراثَه البُعَداءُ

وتَبيتُ الزَّهراءُ غَرْثَى ويُغْذَى ... من جناها مَرْوانُ والبُغَضاءُ

أتروحُ الزَّهراءُ تَطْلُبُ قُوتاً ... والذين استرفدوا بها أغنياءُ

يا لِوَجْدِ الهُدى، أجلْ، وعلى الدنيا ... وما أوْعَبَتْ عليهِ العَفاءُ

نهنهي يا ابنة النبيّ عن الوَجْدِ ... فلا بَرّحَتْ بكِ البَرْحاءُ

وأريحي عيناً وإن أذْبَلَتْها ... دمعةٌ عند جَفْنِها خَرْساءُ

وانطوى فوق أضلعٍ كَسَّروها ... فهي مِن بعدِ كَسْرِهم أَنْضاءُ

وتَـنـاسَيْ ذاك الجـنـينَ الْمُـدَمّـى ... وإنِ اسْـتَـوْحَـشَـتْ لـه الأحْـشـاءُ
وجـبـينٌ محـمّـدٌ كـان يـرتـاحُ ... إلـيـه، مـبـاركٌ وَضّـاءُ
لَـطَـمَـتْـهُ كَـفّ عـن المَجـدِ والـنَّـخْـوَةِ ... فـيـمـا عَـهِـدْتُـهـا شَـلّاءُ
وسِـوارٌ عـلى ذِراعَـيْـكِ مِـن سَـوْطٍ ... (تَـمـادَتْ) بـضربـه الـلُّـؤَمـاءُ
في حشايا الـظـلام في (غُـرْبَـةِ) الـزهـراء ... آه ولـوعـةٌ وبـكـاءُ
وهْـي (رَهْـنُ الـبَـلاءِ) نِضْوٌ من الأَسْقامِ ... كـالـغُـصْـنِ جَـفّ عـنـه المـاءُ
الـرزايـا الـسـوداء لم تُـبـقِ منها ... غـيـرَ رُوحٍ أَلْـوى بـهـا الإعْـيـاءُ
ومُـسَـجّـىً مِـن جِـسْـمـهـا وَسَـمَـتْـهُ ... بـالـنُّـدُوبِ الـسِّـيـاطُ كَـيْـفَ تـشاءُ
وكَـسِـيـرٌ مـن الـضُّـلـوعِ تَـحـامَـتْ ... أن يَـراهُ ابـنُ عَـمِّـهـا فَـيُـسـاءُ
فـاسـتـجـارت بـالـمـوت والمـوت ... لـلـرُّوح الـتي أَدّهـا الـعـذابُ شِـفـاءُ
وبِـجَـفْـنِ الـزَّهـراءِ طَـيْـفٌ تـبَـدّى ... فـيـه وجـهُ الحـبـيـبِ والـسِّـيـمـاءُ
وذِراعـاخـديجـة، وابْـتِـهـالُ ... الأمّ تـشـتـاقُ فَـرْخَـهـا، ودُعـاءُ
فَـتَـمَـشَّـتْ بـجـسـمِـهـا خَـلَـجـاتٌ ... ومـشى في جُـفـونـهـا إغـمـاءُ
وبَـدَتْ في شِـفـاهـهـا هَـمْـهَـمـاتٌ ... لِـعـلـيٍّ، في بَـعـضِـهـا إيـصـاءُ
بِـيَـتِـيـمَـيْـنِ وابْـنَـتَـيْـنِ ويـا لَـلأمِّ ... نَـبْـضٌ بِـقَـلْـبِـهـا الأبْـنـاءُ
ووصـايـاً نَـمَّـتْ عـن الهَـضْـمِ والـعَـتْـبِ ... رَوَتْـهـا مـن بَـعْـدِهـا أسْـمـاءُ
ثـم مـاتـت وَلَـهَـى فما أقـبـح الخـضراءَ ... ممّـا جَـنَـوْهُ والـغَـبْـرَاءُ
سُـجّـيـت في فِـراشـهـا وعـلـيٌّ ... وبـنـوه (لـدى الـوَداعِ) انْـحِـنَـاءُ
وتـلاقَـتْ دمـوعُـهـمْ فـوق (ضِـلْـعٍ) ... (طـال) للمصطفى عـلـيـه الـبـكـاءُ
وعـلـيٌّ بـمَـدْمَـعٍ يقتضيه الحُـزْنُ ... سَـكْـبـاً وتَـمْـنَـعُ الـكِـبْـرِيـاءُ
فـاحْـتَـوَى فـاطـمـاً إلـيـه ونـادى ... عَـزَّ يـا بِـضْـعَـةَ الـنَّـبِـيِّ الْـعَـزاءُ
وَتَـوَلّى تَـجْـهـيـزَهـا مِـثْـلَ مـا أَوْصَـتْـهُ ... مـن حـيـنِ مَـدَّتِ الـظَّـلْـمـاءُ
وعـلى الـقـبـرِ ذابَ حُـزْنـاً ونَـدَّتْ ... دمـعـةٌ مِـنْ عُـيـونـه وَكْـفـاءُ
ثُـم نـادى وديـعـةٌ يـا رسـولَ ... الله رُدَّتْ وعـيـنُـهـا حَـمْـراءُ

حِكَم

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «قلبٌ ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خَرِب، فتعلّموا وعلّموا وتفقّهوا، ولا تموتوا جُهّالاً، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يَعذُر على الجهل».
* الإمام علي عليه السلام: «إبذل لصديقك كلّ المودّة، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة، وأعطِه كلّ المواساة، ولا تُفْضِ إليه بكلّ الأسرار، تُوفي الحكمة حقّها، والصديقَ واجبَه».
* «الحدّة ضرب من الجنون لأنّ صاحبها يندم، فإنْ لم يندم فجنونه مُستحكِم».
* قال للخضر عليه السلام: «قُل كلمة حكمة، فقال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء قربةً إلى الله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأحسن من ذلك تِيهُ الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله. فقال الخضر: ليُكتب هذا بالذهب».
* الإمام الباقر عليه السلام: «صمتُ الأديب عند الله أفضل من تسبيح الجاهل».
* «إنّما شيعتنا الخُرس». { كناية عن انتقاء الكلام، وفضيلة الصمت الغالبة }.
* الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجلٍ أتاه: ألا أدُلُّك على أمرٍ يُدخلك الله به الجنّة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أَنِلْ ممّا أنالك الله، قال: فإنْ كنتُ أحوجَ ممّن أُنيلُه؟ قال: فانصُر المظلوم، قال: وإنْ كنتُ أضعفَ ممّن أنصرُه؟ قال: فاصنع للأخرق -يعني أَشِرْ عليه- قال: فإنْ كنتُ أخرقَ ممّن أصنعُ له؟ قال: فاصمت لسانَك إلّا مِن خير، أما يسرُّك أنْ تكونَ فيك خِصلةٌ من هذه الخصال تجرُّك إلى الجنّة؟».

لُغَة

*غ د و، قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ سبأ:١٢، أي جَرْيُها بالغداة مسير شهر وجريها بالعشيّ. كذلك قوله تعالى: ﴿..بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور:٣٦ أي بالغدوات، فعبَّر بالفعل عن الوقت. والآصال هي جمع أصيل وهي العشيّ.
قوله تعالى: ﴿..وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..﴾ الحشر:١٨، أراد به يوم القيامة، ونكَّره لتعظيم أمره. وعن بعض المفسرين: لم يزل يقرّبه حتى جعله كالغد، ونحوه في تقريب الزمان ﴿..كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ..﴾ يونس:٢٤.
والغد: اليوم الذي يأتي بعد يومك على أثره، ثمّ توسّعوا فيه حتى أُطلق على البعيد المُترقّب. وأصله (غِدْو) كفلس فحذفوا اللام [أي حرف الواو من غدو] بلا عوض وجعلوا الدال حرف إعراب.
وفي الحديث: «**استعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ من الدُّلْجَة**»، فالغَدوة بفتح أوّله وقيل بضمّه: سير أوّل النهار إلى طلوع الشمس، والرَّوحة: اسم للوقت من الزوال إلى الليل. والدُّلْجة بضمّ المهملة وسكون لام: سيرُ آخر الليل أو كلّ الليل.
ويُقال: **غدا** للدلالة على الذهاب والانطلاق أيّ وقت كان. ومنه قوله عليه السلام: «**أُغدُ يا أَنَس**» أي انطلق. وفي حديث يوم الفطر: «**أغدوا إلى جوائزكم**» أي اذهبوا إليها فحوزوها، ومنه: «**يأكل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلّى**» أي يذهب إليه. ويُقال: أتيتُه غدوةً-غير مصروفة- لأنّها معرفة مثل سَحَر.
والغداة: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

(مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، بتصرّف)

تاريخ

زاوية مخصصة لأوراق من التاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسية

تَعظون ولا تتَّعظون

عن أبي حمزة الثمالي قال: «حدّثني مَن حضر عبد الملك بن مروان وهو يخطب الناس بمكّة، فلمّا صار إلى موضع العِظة من خطبته قام إليه رجل، فقال:

مهلاً مهلاً، إنّكم تأمُرون ولا تأتمرون، وتَنهوْن ولا تنتهون، وتَعظون ولا تتَّعظون، أفاقتداءً بسيرتكم؟ أم طاعة لأمركم؟ فإن قلتم: اقتدوا بسيرتنا، فكيف نقتدي بسيرة الظالمين؟ وما الحجّة في اتباع المُجرمين الذين اتّخذوا مال الله دُوَلاً، وجعلوا عباد الله خِولاً؟

وإنْ قلتم: أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا، فكيف ينصح غيره مَن يغشّ نفسه؟ أم كيف تجب طاعة مَن لم تثبت له عدالة؟

وإن قلتم: خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العِظة ممّن سمعتموها، فلعلّ فينا من هو أفصح بصنوف العظات، وأَعرَف بوجوه اللغات منكم، فزحزحوا عنها، أطلقوا أقفالها، وخلُّوا سبيلها، يُنْتَدَبْ لها الذين شردتّموهم في البلاد، ونقلتموهم عن مستقرّهم إلى كلّ وادٍ، فوالله ما قلّدناكم أزمّة أمورنا، وحكّمناكم في أبداننا وأموالنا وأديانناً لتسيروا فيها بسيرة الجبّارين، غير أنّا نُصبِّر أنفسنا لاستيفاء المدّة، وبلوغ الغاية، وتمام المحنة، ولكلّ قائل منكم يوم لا يعدوه، وكتابٌ لا بدّ أن يتلوه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلبون﴾.

قال: فقام إليه بعض أصحاب المسالح فقبض عليه، وكان ذلك آخرُ عهدنا به، ولا ندري ما كانت حاله».

(الأمالي، الشيخ المفيد)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

الأيكة: جاء ذكرها في كتاب الله عزّ وجلّ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء:١٧٦، قيل: هي تبوك التي غزاها النبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، آخر غزواته، وأهل تبوك يقولون ذلك ويعرفونه ويقولون إنّ شعيباً عليه السلام أُرسل إلى أهل تبوك، ولم أجد هذا في كتب التفسير، بل يقولون: الأيكة الغيضة الملتفّة الأشجار، والجمع أيْك، وأنّ المراد بأصحاب الأيكة أهلُ مَدْين، قلتُ: ومَدْيَن وتبوك متجاورتان.

أَيلة: بالفتح: مدينة صغيرة عامرة بها زرعٌ يسير على ساحل بحر القلزم [الأحمر] ممّا يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأوّل الشام، وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمُسخوا قردة وخنازير، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم، وقال أبو المنذر: سُمِّيت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وقال أبو عبيدة: «أيلة مدينة بين الفسطاط [في مصر] ومكّة على شاطئ بحر القلزم، تُعدّ في بلاد الشام، وقدم يوحنة بن رؤبة على النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرّر على كلّ حالم [بالغ] بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار، واشترط عليهم قرى [إضافة] مَن مرَّ بهم من المسلمين، وكتب لهم كتاباً أن يحفظوا ويمنعوا، فكان عمر بن عبد العزيز لا يزداد على أهل أيلة عن الثلاثمائة دينار شيئاً..».

(معجم البلدان، الحموي).

الهُدى والضلال

المرجع الدّيني السيّد كاظم الحائري

هل الطاعة والمعصية، منّا أو من اللّه تعالى؟ وهل نحن الذين نُطيع ونعصي، أم أنّ «الهدى» و«الضلال» منه تعالى؟

ما يلي، محطّة للإضاءة على هذين المُصطلَحين، كما تناولهما المرجع الديني السيّد كاظم الحائري حفظه الله في كتابه (الإسلام وقيادة المجتمع).

نرى أنّ هناك لهجتين ولسانين، بل أسلوبين، موجودَين في الكتاب والسنّة، فهل هما متعارضان ومتناقضان؟

هناك آيات صريحة في أنّ الهداية والضلال منّا وبِمَحْض اختيارنا، وأنّنا لم نُجبر عليهما من قِبل اللّه عزّ وجلّ.

فقد قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان:٣.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ البلد:١٠.

وهناك آيات دالّة على أنّ الهداية والضلال من اللّه جلّ شأنه.

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ..﴾ القصص:٥٦.

﴿..يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ البقرة:٢٦.

﴿..وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. النور:٤٦

﴿.. قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة:١٤٢.

﴿..قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ الرعد:٢٧.

وأمثال هذه الآيات كثير.

والواقع أنّ التعارض الظاهر بين هذين اللّسانين لا يعني أنّ اللّه سبحانه قد ناقض نفسه في القرآن الكريم، فتارةً يقول: إنّكم تهتدون وتضلّون بمحض اختياركم، وأُخرى يقول: أنا الذي أهدي وأنا الذي أُضل، إذ لا تناقض بين هاتين اللّهجتين ولا تنافي بين اللّحنين، وما علينا إلّا أن نتمرّس في مطالعة النصوص الإلهيّة الواردة في القرآن والسنّة، وندقّق فيها للتعرّف على لحن الوحي ولهجة النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام، فيتّضح معنى أنّ اللّه هو الذي يهدي، وهو الذي يُضلّ.

هناك نصوص صريحة في أنّ القدرة والاختيار بيد الإنسان، وهذا ما نحسُّ به بوجداننا، وبفطرتنا، فعندما نعمل عملاً إنّما نعمله بقدرتنا واختيارنا.

ولكن مع هذا، يصحّ أن نقول إنّ اللّه هو الهادي وهو المضلّ، وذلك لأنّ الهداية والضلال تعود إلى صفات نفسيّة، قد خلقها اللّه تعالى مع النفس، وقد ورد ذلك في الروايات، فعندما يرد خبر بأنّ: «**الشقيّ من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمّه**»، فإنّ هذا لا يعارض الاختيار، لأنّ الإنسان هو الذي يختار الشقاء بمحض اختياره، ولكنّ خميرة الشقاء كانت موجودة معه في نفسِه حين خُلقت. وهو الذي يختار السعادة بمحض اختياره، ولكنّ خميرة السعادة موجودة في نفسِه حين خلقها اللّه تعالى.

من هنا، فالمقصود بأنّ اللّه يهدي ويضلّ -إذن- هو أنّ مناشىء الهداية ومناشىء الضلال هي من عند اللّه تعالى، إذ إنّه سبحانه قد خلقها في نفس الإنسان منذ أن خلقه، وهذا لا يعني خروج الاختيار من يد الإنسان، بل يبقى قادراً على مخالفة الحالة التي هو عليها.

الكتاب: «السيادة والاستقلال عند الإمام الخميني»
المؤلّف: كاظم قاضي زاده، وآخرون.
الناشر: «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، بيروت ٢٠١١.

في إطار سلسلة «الدراسات الحضاريّة» التي يُصدرها «مركز الحضارة لِتنمية الفكر الإسلامي» صدر حديثاً كتاب «السيادة والاستقلال» وهو يقع ضمن موسوعة الفكر السياسي عند الإمام الخميني.

يعالج مؤلّفو هذا الكتاب مفهومَيْ السيادة والاستقلال ثمّ يسعيان إلى تطبيقه على الخطاب الفكري الذي أطلقه الإمام الخميني قبل الثورة وبعدها.

يضمّ الكتاب جملة أبحاث أبرزها:

-الاستقلال السياسي في الدولة الإسلاميّة.
-المحاور الضروريّة لديمومة الاستقلال السياسي.
-الإمام الخميني والنَظام الدولي.
-الثورة الإسلاميّة والنَظام العالمي الجديد.

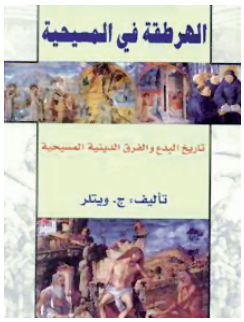

الكتاب: «الهرطقة في المسيحيّة».
المؤلّف: جورج ويتلر.
المترجم: جمال سالم.
الناشر: «دار التنوير» بيروت ٢٠١٠.

صدر عن «دار التنوير» في بيروت كتاب للمفكّر البريطاني جورج ويتلر بعنوان: «الهرطقة في المسيحيّة – تاريخ البِدَع والفِرَق الدينيّة في المسيحيّة». هذا الكتاب يتناول بعرض مفصّل وعميق سلسلة من الفِرَق والمذاهب التي خرجت على السلطة الدينيّة للكنيسة الرومانيّة الأصليّة. وقد تمحورت الخلافات حول قضايا أخلاقيّة في البداية، لكنّها تطوّرت وتوسّعت لتشمل الجوانب الأساسيّة في العقيدة المسيحيّة كمفهوم الثالوث، وقضيّة النعمة، وسائر الطقوس التي تشكّل بالنسبة لهذه الفِرَق، وخصوصاً البروتستانتيّة، زوائد وخرافات لا قيمة لها. أهميّة هذا الكتاب أنّه يلقي الضوء على الجذور التي أدّت إلى ظهور الانشقاقات في الكنيسة الكاثوليكيّة منذ العصور الوسطى وإلى يومنا هذا.

الكتاب: «الهولوكوست – حقيقتها والإستغلال الصّهيوني لها».
المؤلّف: ندى الشقيفي.
الناشر: «مركز باحث للدراسات»، بيروت ٢٠١١.

صدر مؤخراً عن «مركز باحث للدراسات» كتاب جديد تحت عنوان «الهولوكوست – حقيقتها والإستغلال الصّهيوني لها» للباحثة ندى الشقيفي.

تتناول المؤلفة في هذا الكتاب نشأة الحركة الصُّهيونيّة العنصريّة في أفكارها ومعتقداتها والعوامل التي أدّت إلى قيامها وكذلك أبرز اتجاهاتها الإيديولوجيّة ومؤسّسيها.

كما تتناول المؤلفة بالتحليل والنقد أطروحة معاداة السامية التي تُشكّل هاجس المجتمعات والحكومات الغربيّة، حيث تمارس «اللوبيّات» اليهوديّة النّافذة أقصى درجات التهويل والابتزاز للضغط على القرار السياسي في أوروبا والولايات المتّحدة الأميركيّة.

الكتاب: «العلّامة الشيخ عليّ السبيتي – آثاره الباقية».
المؤلّف: مجموعة محقّقين.
الناشر: «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي»؛ «دار الأقلام»، بيروت ٢٠١٠.

صدر حديثاً عن «دار الأقلام» و«المجلس الثقافي للبنان الجنوبي» كتاب وثائقي يؤرّخ للسيرة العلميّة والأدبيّة والدينيّة لواحد من أبرز علماء جبل عامل هو العلّامة الشيخ عليّ السبيتي (ت ١٨٨٥م).

الكتاب يتحدّث عن آثار الشيخ العلميّة، وهي جاءت على شكل مخطوطات أُعيد جمعها ومراجعتها من جانب فريق من الباحثين والمحقّقين في «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي»، في إطار إحياء «سلسلة التراث العاملي».

أمّا المخطوطات المنشورة في هذا الكتاب فهي التالية:

الرّد على أبي حيّان التوحيديّ.
المفاخرة بين العرب والعجم.
المحورة بين الفقر والغنى.
جبل عامل بين قرنين.
الجوهر المجرّد.

هذا بالإضافة إلى مقتطفات مختارة من شعر العلّامة السبيتي.

الكتاب: «الإقتلاع من الجذور». Rootedness

تأليف: د. حصة الكهلان.

الناشر: «جامعة لندن» و«دار الأنوار»، بيروت ٢٠١١.

صدر مؤخّراً في بيروت ولندن كتاب حول الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش بعنوان (الإقتلاع من الجذور)، وهو دراسة مقارنة بين درويش والشاعر الإيرلندي سايموس هاينس أجرتها الباحثة الخليجيّة د.حصة الكهلان. يتضمَّن الكتاب أبرز القصائد التي قدّمها محمود درويش حول الغربة النّاتجة عن رحلة الاقتلاع من الجذور التي جرت بعد النّكبة الفلسطينية في العام ١٩٤٨. وفي مقابل ذلك اختارت المؤلّفة مجموعة من قصائد الشاعر هاينس وتدور هي الأُخرى حول معاناة الشعب الإيرلندي والاضطهاد الذي عانى منه جرّاء الاستيطان الإنكليزي لبلاده.

الكتاب: «حرب خفيّة: الولايات المتحدة والعقوبات ضدّ العراق». INVISIBLE WAR

تأليف: جوي غُرْدُن.

الناشر: «جامعة هارفارد»، ماساتشوستس ٢٠١٠.

تُلخِّص المؤلّفة جوي غُرْدُن هدف الكتاب في المقدّمة، وتقول إنّه يسعى لدراسة السبل التي اتّبعتها الولايات المتحدة لصياغة طبيعة العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق -وفق القرار ٦٦١ الصادر في أغسطس/آب ١٩٩٠م- ومداها، حيث إنّها هي من قرّر ذلك على نحو كامل، وفرضته على بقية أعضاء مجلس الأمن الدولي وأعضاء الجمعية العموميّة. ويكشف الكتاب كيف بقيت الولايات المتحدة تقاوم بعناد شديد محاولات الدول الأخرى للتخفيف من الحصار، ورفع الأذى عن السكان الأبرياء، حتّى عندما تبين الثمن الباهظ الذي ألحقته تلك العقوبات بالمدنيّين العراقيّين (من ضمن ذلك وفاة نصف مليون طفل عراقي). وتخلُص غرْدُن إلى أنّ سياسات الولايات المتحدة تجاه العراق لم تكن وليدة جهل أو خطأ في الحسابات، وإنّما سياسة عمدية مُخطَّطة ومُنهجة، ترمي إلى إضعاف هذا البلد وتحويله قاعدة انطلاق للتغيير في الشرق الأوسط.

الكتاب: «عصر الإنكسار». AGE OF FRACTURE

المؤلّف: دانيال رودجرز.

الناشر: «بيلكناب برس»، لندن ٢٠١١.

يشير المؤلف دانيال رودجرز في كتابه (عصر الإنكسار) إلى أنّ الولايات المتحدة باتت تواجه منذ ثلاثة عقود حالةً من الجمود على مستوى الإدارتين السياسيّة والاقتصادية، مردّ ذلك إلى توقّف المفكّرين الأميركيّين الكبار -في المجال الاقتصادي تحديداً- عن التفكير بطموح وعن طرح الأفكار الكبرى. يضيف رودجرز أستاذ التاريخ بجامعة «برينستون» الأميركيّة أنّه عندما خرج الإقتصاد الأميركي من تجارب العقدين السابع والثامن من القرن الماضي، لم يعد يركّز على تحقيق الإستقرار في الداخل، أو على سلامة التفاعلات الاقتصادية في المجمل، ما أدّى إلى ضمور حركة «الفكر الاقتصادي» في الولايات المتحدة. كذلك يتحدث رودجرز عن التداعيات المدمّرة التي خلّفتها «الحرب على الإرهاب» على معيشة المواطن الأميركي وأنماط حياته ورفاهيته، لا سيّما في عهد جورج بوش الإبن.

الكتاب: «الطب النباتي اليوناني - العربي الإسلامي».
GRECO – ARAB AND ISLAMIC HERBAL MEDICINE

المؤلّف: بشار سعد وآخرون.

الناشر: «ويلي»، لندن ٢٠١١.

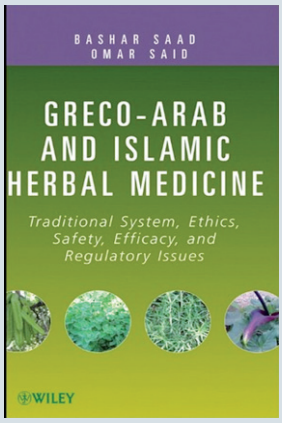

يؤكّد هذا الكتاب: (الطب النباتي اليوناني-العربي الإسلامي) أنّ الموروث الطبي العربي الإسلامي شكّل أساس الطب الغربي الحديث، لافتاً إلى أنّ الطب الإسلامي يعتمد أساساً نظرية الأخلاط الأربعة (المُستلهمة من الطب اليوناني) والتوازنَ بينها أساساً لكلّ اشتقاقات الأمراض وعلاجاتها، تجلّى ذلك بدايةً مع مع ابن سينا في كتابه (الشفاء) وغيره من مصنّفاته الطبيّة.

ويوضح الكتاب أنّ الأطباء المسلمين هم أوّل من عمل على الفصل بين علمَي الطب والصيدلة، وهم الذين وضعوا أُسس علم الأدويـة والعقاقير (الأقرباذين) منذ القرن الميلادي الثامن، مشيراً إلى أنّ ٤٠٪ من مجمل الأدوية الحديثة مستمّدة مباشرةً من النباتات الطبية، وإلى أنّ ثمّة ٢٥ ألف صنف من النباتات لم يتعرّف إليها العلم الحديث حتى الآن.

تبقى الإشارة إلى أنّ هذا المؤلّف يشكّل مرجعاً في بابه، ويتناول كلّ الجوانب المتعلقة بالطب العربي-الإسلامي، ويفتح أفقاً حول الطاقات الهائلة الكامنة فيه وغير المستغلّة بعد.

«المَحجّة» (٢٢)

في العدد الجديد من فصليّة «المَحجّة» المُتخصّصة بالفكر الدّيني والفلسفة الإسلاميّة، نقرأ مجموعة من الأبحاث والمقالات والدراسات ذات الصّلة:

تضمّن ملف العدد وهو بعنوان «المعاد بين رمزيّة الدّلالة والدّين»:

«حكمة المعاد ومنافذ المصير» للشيخ شفيق جرادي.

«الموت وعالم الخيال: المعاد عند إبن العربيّ» لوليام تشيتيك.

«متافيزيقيا الخلود في الجنّة والنّار» لفريتيوف شوون.

«المعاد في زمن الحاجة الى الأخلاق» لمحمود يونس.

رسالة «زاد المسافر» لملّا صدر الدين الشيرازيّ.

أمّا باب الدراسات فقد تضمّن دراسة مترجمة حول «الوعي الزّائف في الماديّة»، بالإضافة إلى تغطية لندوة عن «عودة الميتافيزيقيا» شارك فيها مطاع صفديّ وجوزيف معلوف وحبيب فيّاض.

«الحداثة» (١٣٣-١٣٤)

صدرت مؤخّراً المجلّة الفصليّة الثّقافيّة «الحداثة» والتي تُعنى بقضايا التُّراث والحداثة.

كتب افتتاحيّة العدد رئيس تحريرها فرحان صالح تحت عنوان «منير وعادل اسماعيل في مرآة مؤرّخي لبنان». كما تَضمَّنَ العدد خمسة ملفات شارك فيها عددٌ مِن الكُتّاب والمُفكّرين من لبنان والعالم العربي أبرزها حول «تجديد الفكر الديني»، و«الأزمة الحضاريّة»، و«ملف حول حرب تموز»، إلى ملفّين حول المرأة وقضايا اللّغة العربية والترجمة.

هذا بالإضافة الى محور فكري حول «أزمة الإجتهاد والهويّة في الخطاب العربي».

من الكُتّاب المشاركين: عبد الرؤوف سنّو، يوسف الحوراني، رشيد قوقام، إلهام الشعراني، عبد القادر هني، سعيد كحيل وآخرون.

«المشرق»

صدر عن «دار المشرق» المجلّة الدوريّة نصف السنوية «المشرق» وهي دورية ثقافية جامعة ومحكّمة تصدر مرتين في العام.

يحتوي العدد الجديد على مقالات وأبحاث ودراسات في اللاّهوت المسيحي والفكر الفلسفي الإسلامي منها:

افتتاحيّة رئيس التحرير الأب سليم دكّاش.

«الحكمة البالغة في الحكمة المتعالية – منزلة القرآن الكريم في فلسفة صدر الدين الشيرازي»، بقلم محمود حيدر.

«العالم بعد زلزال برج بابل»، للدّكتور صلاح أبو جودة اليسوعي.

«مسحيّو الشرق العربي»، بقلم نائل شكور.

هذا بالإضافة الى مقالات تتطرّق إلى قضايا ثقافيّة ودينيّة وفلسفيّة معاصرة.

«فِكر وفن» (٩٣)

عن «معهد غوته الثّقافي» في بيروت صدر العدد الجديد من دورية «فِكر وفن»، ويتضمّن مجموعة من المقالات والأبحاث حول الإعلام والإسلام، بأقلام كُتّاب ومُفكّرين من العالَمَين الإسلامي وأوروبا. من أبرز هذه المقالات:

- «ما هو دور الإعلام في ايران؟» بقلم البروفسور الإيراني أمير جهلتان.
- «إعلام الخدمة العامّة الأوروبي» كتبه مدير التّحرير أحمد حسو.
- «وسائل الإعلام في لبنان» بقلم منى نجار.
- «صورة الإسلام في الإعلام الألماني» للباحث الايراني كاي حافظ.
- «جدل جديد حول الإسلام» للباحث الألماني شتيفان شيفر.
- «المسلمون في وسائل الإعلام الألمانية» لعبد الأحمد رشيد.
- «حقوق النشر والانترنت» للباحث البريطاني إيليا براون.

كما يتضمن العدد الجديد من «فكر وفن» عدداً من التحقيقات والمقالات الثقافيّة و الفنيّة في مجال الحروفيّات الشرقيّة والفن الإسلامي في العصر الوسيط.

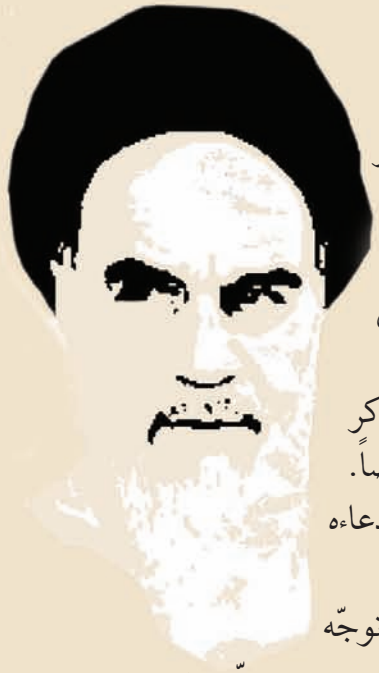

العبادة تُولِّد الحركة والنشاط

أولئك الذين -وبدافع من توهّماتهم- يحذِّرون الناس من الدعاء والذكر وما ماثل (من الأوراد والنوافل..)، لكي يلتصقوا بالدنيا، [ولا تشغلهم العبادة عن واجباتهم العمليّة الدنيويّة] هؤلاء لا يُدركون حقيقة الأمر. لا يعرفون أنّ هذا الدعاء نفسه وهذه الأذكار هي التي تجعل الإنسان يتعامل مع الدنيا بالصورة المطلوبة.

الذين أقاموا العدل في الدنيا هم هؤلاء الأنبياء الذين كانوا أهل الذكر والفكر وكلِّ عبادة، وهم الذين ثاروا ضدّ الظَّلَمة، وهذا نهج الأولياء أيضاً.

الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام قام بتلك الثورة، وهو نفسه الذي ترون دعاءه في يوم عرفة كيف هو.

هذه الأدعية هي مصدر أمثال هذه النهضات. هذه الأدعية هي التي توجّه الإنسان للمبدأ الغيبي لو أحسن قراءتها، وهذا التوجّه هو نفسه يؤدّي إلى تقليل تعلّق الإنسان بنفسه وحبِّه لها، وهو لا يمنع الإنسان عن الحركة والنشاط. كلّا، بل على العكس، إنه يولّد لديه حركة ونشاطاً أيضاً، ولكن ليس من أجل نفسه، بل إنّه يدرك أنّه يجب أن يتحرّك وينشط من أجل خدمة عباد الله، فهي خدمة لله.

أولئك المنتقِدون لكتب الأدعية إنّما يفعلون ذلك لكونهم جهلة مساكين لا يعرفون كيف أنّ كتب الأدعية هذه تصنع الإنسان، فأيّ إنسان -عظيم- تصنعه الأدعية الواردة عن أئمّتنا، كالمناجاة الشعبانيّة ودعاء كميل، ودعاء الإمام سيّد الشهداء عليه السلام يوم عرفه، ودعاء السمات...

إنّ الذي يقرأ المناجاة الشعبانيّة هو نفسه الذي يُشهر السيف أيضاً. هذه المناجاة كان يقرأها جميع الأئمّة، ولم أرَ فيما يتعلق بسائر الأدعية الأخرى مثل هذا الوصف -قراءة جميع الأئمّة لها- والذي يقرأها يُشهر السيف ويجاهد الكفّار.

هذه الأدعية تُخرج الإنسان من هذه الظلمات، وعندما يخرج منهما يُصبح عاملاً في سبيل الله، مقاتلاً في سبيل الله، قائماً لله.

الأدعية لا تحجز الإنسان عن الحركة والعمل كما يدَّعي أولئك، قاصرين آمالهم على هذه الدنيا، معتبرين كلّ ما وراءها من «الذهنيّات»، لكنّهم سيصلون إلى حيث يرون أنّ هذه الذهنيّات هي «العينيّات» وما كانوا يرونه عينيّاً، هو الذهنيّات.

هذه الأدعية والخطب و(نهج البلاغة) و(مفاتيح الجِنان) وسائر كتب الأدعية، هي التي تُعين الإنسان ليصبح إنساناً.

أولئك الذين تصوّروا أنّ هذه العلوم المعنويّة تحجز الناس عن الحركة والنشاط، هم مُشتبهون. الشخص ذاته الذي كان يعلّم الناس العلوم المعنويّة هذه، والذي لم يكن له نظير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في معرفة الحقائق، هذا الإنسان وفي اليوم نفسه الذي بايعوه بالخلافة، حمل فأسه وذهب إلى عمله في الزراعة، كما ينقل لنا التأريخ.